الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم

كلية العلوم الاجتماعية

قسم الفلسفة

تخصص : فلسفة عامة

مذكرة لنيل شهادة الماستر

جدل الثقافة و المثقف عند أنطونيو غرامشي

من إعداد الطالبة :

بن قريش سعيدة

تحت إشراف الاستاذ:

د. بن جدية محمد

السنة الجامعية :2022/2021

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم

كلية العلوم الاجتماعية

قسم الفلسفة

تخصص : فلسفة عامة

مذكرة لنيل شهادة الماستر

جدل الثقافة و المثقف عند أنطونيو غرامشي

من إعداد الطالبة :

بن قريش سعيدة

تحت إشراف الاستاذ:

د. بن جدية محمد

السنة الجامعية :2022/2021

إذا توفرت لديك الإرادة تستطيع أن تنظم أكثر الأناشيد مرحا في أكثر السجون قسوة.

أومبرتو سابا

كلمة شكر وعرفان

تتسابق الكلمات وتتزاحم العبارات لتنظم عقد الشكر الذي لا يستحقه إلا أنتم، إليكم يا من كنتم لنا قدم السبق في ركب العلم والتعليم، إليكم يا من بذلتم ولم تنتظروا العطاء، إليكم أساتذتي الكرام، أساتذة شعبة الفلسفة في جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم، إن قلت شكرا فشكري لن يوفيكم حقا، سعيتم فكان السعي مشكورا، وأقدم شكري والجزيل لسكرتيرة الشعبة التي طوال سنين الدراسة لم تبخل علينا بكلمة طيبة وضحكة مستبشرة ومعاملة حسنة.

وكما يقال، فختامها مسك، وشكر إلى صاحب التميز والأفكار النيرة، "الدكتور بن جدية محمد" الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث والذي كان لي خير السند والقدوة في مشواري الدراسي فللنجاح أناس يقدرون معناه، وللإبداع أناس يحصدونه، لذا أقدر جهودك المضنية، فأنت أهل للشكر والتقدير فلك منا كل الثناء.

إهداء

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا

ونشكره على عونه وا إلمامه لنا بالصبر والقوة.

فمشروع بحثي أهديه لقرة عيني العزيزين، الذي قال فيهما ذو جلال والإكرام

في قوله تعالى: "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة".

فإليك يا أمي يا من الجنة تحت قدميك وا إليك يا من كنت خير الأب

والصديق والرفيق، اللهم احفظهما وأطل في عمرهما

ولا تحرمني منهما يا ذا الجلال والإكرام.

المقدمة

في البداية لما هذا البحث؟ ما الغاية منه؟ ثم لماذا المفكر انطونيو غرامشي؟ ولماذا المثقف ؟ هي اسئلة كلاسيكيه يفترض كل باحث ان المتلقي سيطرحها مباشرة بعد قراءة عنوان البحث " إشكالية المثقف عند أنطونيو غرامشي " فالغاية من هذا البحث في الحقيقة استجابت لعدة دوافع تتراوح بين ما هو ذاتي و ما هو موضوعي : اسباب الموضوعية:

يمثل البحث شكل من اشكال التعرف على هذا المفكر الذي لا طالما كان غائبا عن الساحة العربية والاعتراف ايضا بفضله على الفكر الانساني ككل لما قدمه من اسهامات في مجالات عده على راسها : الأدب الفلسفة، السياسة والعلوم السيسيولوجية.

يمثل هذا البحث ايضا اسهاما متواضعا في محاولة الاحاطة بفكر انطونيو غرامشي فانا شخصيا خلال انجاز هذا العمل إستعملت(يشبه الاستبيان) وطرحت السؤال على بعض الطلبه في الوسط الجامعي، هل تعرف انطونيو غرامشي؟ فأجابت الأغلبية الساحقة بالنفي.

بالإضافة لمحاوله مناقشه القضايا التي صبت في فكر هذا الأخيروا إثرائها من خلال تسليط الضوء على المشكلات والتساؤلات التي عالجها ، وهذا ما اردنا ان نبحث فيه حيث جاء اهتمامنا منصبا بالدرجة الاولى على طرحوا إبراز اشكاليه المثقف بعدما كانت شبه مهمشة وغائبة جراء الهيمنة والسيطرة السياسية و لا سيما في بلداننا (العالم الثالث) وطرحنا السؤال الموالي من هو من هو المثقف في نظر غرامشي؟

هل هو المفكر التقليدي؟

أم المفكر العضوي؟

و بهذا حاولت من خلال أطروحتي التمييز بين أنواع المثقفين، و أبين و أشرح المصطلحات من الناحية الإبستملوجية

الأسباب الذاتية:

كان لدي فضول قديم ورغبه شخصية لتناول الموضوع

الموضوع في الواقع يندرج ضمن تخصصي (فلسفه عامة) و هذا الأخير شغل العديد من الفلاسفة و المفكرين نظرا لأهميته.

فكانت هذه عبارة عن محاولة بسيطة مني لإثراء المكتبه الجامعية بمعلومات عنه

المنهج:

والجدير بالذكر انني اعتمدت في دراسي هذه على المنهج التحليلي ، أين قمت بالتطرق الى تحليل افكار جرامشي ومؤلفاته والنظر فيها موضوعيا من قبل العديد من الفلاسفة ،كذلك تم الإستعانة المنهج التاريخي حيث تطرقت الى نشأة المفكر منذ صغره وتتبعت تسلسل الاحداث التاريخيه في حياته مما ساعدني على اخذ صوره مجمله عن فكره المتأثر بالأحداث التي عاصرها خصوصا السنوات التي قضاها في السجن

الدراسات السابقة:

تحدث محمد الهادي كشت عن تمثيلات المثقف المقاوم و صورة المثقف في فكر إدوارد سعيد ، بينما كتب الدكتور أحمد عطار مقال في بضع صفحات يتحدث فيه عن الفلسفة العملية الإيطالية و أخذ هذا الأخير غرامشي نموذجا ، و من جهة أخرى محمد يحي حسني بتأليف كتاب و أورد فيه مفهوم المجتمع المدني لدى غرامشي من خلال دفاتر السجن " من التثوير إلى الحياد ، على غرار رسالة تقدم بها حيدر علي محمد إلى جامعة بغداد تناول فيها إشكالية المثقف عند غرامشي بصفة عامة

هذه بعض الدراسات السابقة التي حاولت تحليل الفكر الغرامشي من جوانب مختلفة ، لهذا نرى الاختلاف غي المواضيع التي تناولتها

لا يمكننا أن ندعي أننا أحطنا إحاطة تامة بمواضيع غرامشي المتعددة لا كننا تحدثنا و على غرار الأغلبية عن مكانة غرامشي في الساحة العربية أو بصيغة أخرى على تأثيره في فكرنا العربي المعاصر.

صعوبات الدراسة:

لا يفوتني الذكر انني واجهت صعوبات لعل اهمها شح المصادر المترجمة ، فضلا عن رداءة المترجم منها ، لأن المترجم غالبا ما كان يترجم إما من الفرنسية أو الإنجليزية و ليس من اللغة الأم (الإيطالية) الأمر الذي شوه إلى حد كبير النصوص الأصلية

تقسيم البحث

ارتأيت تقسيم بحثي هذا وفق الخطه الثنائيه الجاري العمل بها اكاديميا حيث بدأت رسالتي بمقدمه عامه للموضوع مشتملة على عناصر المقدمه المتعارفه عليها وخصصت الفصل الاول للإطار العام لانطونيو غرانشي من هو كيف نشا حياته والقراءة العربية لفكره و فلسفته بينما تطرقنا من خلال الفصل الثاني الى الاطار الخاص وهو الاساس في اطروحتي (اشكاليه المثقف) التعريف الغرامشي للثقافة من هو المثقف لدى غرامشي ،الهيمنة الثقافيه والمجتمع المدني ثم ختمنا بحثنا بخاتمة كانت استنتاج عام لما ورد في بحثنا مشتملة على مجموعه من الإجابات التي استطعت أن أتوصل إليها.

الفصل الأول:

من هو أنطونيو غرامشي

المبحث الأول: أنطونيو غرامشي

المطلب الأول: (نشأته وحياته)

لعل كل مفكر او فيلسوف عاش حياتا فريدة من نوعها أثرت فيه من شتى النواحي ، وهذا ما يدفعنا إلى الغوص في محطات الحياة أنطويو غرامشي في محاولة منا للتعرف عليه وعلى طريقة تفكيره

(ولد أنطونيو غرامشي عام 1891 في بلدة أليس الصغيرة في سردينيا كان أبوه قد جاء أساسا من نابولي وكان مقررا ان يصبح محاميا،ولكن موت أبيه (جد غرامشي) أدى إلى اضطراره لترك الدراسة

اشتغل أمينا في سجلات في بلدة غيلارز السردينية الصغيرة وهناك إلتقى بأم غرامشي التي كانت ابنة مفتش محلي للضرائب وقادرة على الكاتبة و القراءة ...كانت صحة أنطونيو مشكلة إضافية كان يعاني من تشوه في العمود الفقري حاول الأطباء شفاءه منه عبر ابقاءه مشبوطا ،لفترات طوبلة معلقا بالصقف وحين كبر أصبح أحدب ... وكان أيضا يعاني من اضطرابات داخلية أدت في النهاية إلى موته وهو في السادسة و الأربعين من عمره

في 1898 بدا أنطونيو غرامشي تعليمه في غيلارزا ولكنه انقطع عن لمدرسة عامين لدى انتهاء المرحلة الابتدائية لأن أحدا من إخوته لم يكسب شيئا وتوجب عليه أن يعمل ، غير أن إطلاق سراح أبيه مكنه من العودة من المدرسة ،نجح في 1900 في اجتياز إمتحان المطلوب ليلتحق بالثانوية العليا ليسيو في كاغلياري

... ومن عام 1907 كان يرسل منشورات اشتراكية إلى أخيه الصغير في البيت ،أما تجربته مع الحركة العمالية في تورين فكانت ستقود غرامشي إلى التخلي عن ارتباطه بالنزعة القومية البحثة غير أنه لم يترك قط الاهتمام الذي تولى جراء تلك السنوات المبكرة بالمشكلات الفلاحية و بالدياليكتيك المعقد للعلاقة فيما بين العوامل الطبقية و الاقليمية .

... خلال الفترة من 1913 إلى 1915 كان مريضا ميؤسا منه معظم الوقت وبالتالي اضطر أن يترك الدراسة رغم موهبته وخصوصا في مواد الفينولوجيا و اللغويات عموما ورغم تشجيع عدد من أساتذته له كان هناك ،على اي حال،سبب أكثر أهمية حتى من هذه الحالة الشخصية المستحيلة وراء قراره الأخير القاضي بترك الجامعة ألا وهو الواقع التزامه السياسي المتنامي)[1] كل باحث ملم بسيرة غرامشي سيلاحظ أن ما كتب عن لم يتجاوز المكان الذي نشأ فيه غرامشي لجنوب قرية سيرديا التي عرفت بانتشار الأمية و الجهل و الفقر و الأمراض .

المطلب الثاني: القراءة العربية لغرامشي

في العربية يوجد حضور إشكالي لسيرة غرامشي فهي تجهيز كسدرات مثلما هو الأمر حين أقدم عادل غنيم في ترجمة مختصرات من "كراسات السجن" فلهذا هذا العجز وعدم التقبل و حينما أقول عدم التقبل أي عدم الغوص في فكرة و سياسة كما ينبغي "وهذا ما نحن بصدد الحديث عنه".

"...في كتاب صدر بالعربية تحت عنوان "الأمير الحديث" 1970 ترجم فيه زاهي شرفان وقيس الشامي نصوصا متفرقة للمفكر الإيطالي (غرامشي) وفي زمن أقرب ضمن دراسة صدرت في كتاب بعنوان "الثقافي والسياسي لدى انطونيو غرامشي" 2015لجليلة عمامي، كما لنا أن نلتمس شفرات منها ضمن ترجمة رسائله التي نقلها إلى العربية كل من سعيد بوكراهي و أمارجي ... في الفرنسية مثلا، لم تظهر سيرة غرامشي مؤلفة مباشرة، إلا في 2013، يؤكد واضه هذه السيرة بأن إيف فرنديه، أن عمله البيوغرافي يهدف إلى أن يكون مضادا لغرامشي المختصر في كونه " عليه أدوات": حيث مثلت مصطلحات: هي جيمونيا، حرب المواقع، الحس المشترك: الكتلة التاريخية و المثقف العضوي عناصر صالحة لكل طبخة، وبعد صدور هذه البيوغرافيا، يعبر عن لحظة وعي في الثقافة الفرنسية حيث استعمالها دون معرفة أعمق و أكثر تلبية لحاجات القارئ الفرنسي".

[1] غرامشي ،قضايا المجتمع المدني، جيوفيري نويل سميث،كينتين مور،ت ر فاضل حبتر .در الكتمان للدراسة و النشر ، دمشق ، ط1 ، 1991، ص 7-10

لكننا و بشكل قاطع يمكننا القول أن سيرته لم تكتب بعد بالعربية و لا حتى أنها ترجمة مكتملة، ما يهون علينا هذا النقص ربما هو أن ثقافات عديدة، بعضها أقرب منا إلى إيطاليا لم توفر لها سيرة غرامشي..."[1]

هذا و نرى نفس الفكرة تقريبا تطرق إليها ميشيل بروندينو في تحريره لكتاب "جرامشي في العالم العربي" إذ يقول:

..."و لننطلق من ذلك إلى المنشور العربي أو التونسي المغربي بصورة أكثر تحديدا لجرامشي مكانة خاصة بين طبقة المثقفين العرب، ولكنه يظل في كثير من الحالات غير معروف فكثيرا ما يستشهد بغرامشي كمرجع دون أن يدرس فكرة بصورة منهجية ولعل هذا يرجع إلى سببين أساسيين: الأولى يخص جوهر فكرة ذاته، نظرا لصعوبة قراءته (كما يوضح) و الآخر متعلق بخصائص العالم العربي.[2]

هذا وقد أقيمت ندوة في القاهرة على احتفالية مرور 50 سنة عن وفاة غرامشي والتي شارك فيها أغلب المشاركين في هذا الكتاب و كثيرون غيرهم ليقال عنه مايلي: جرامشي الذي عرفه العرب، عمره من عمر هزيمتهم ففي سياق الهزيمة ظهر فجأة وكأنه أحد الناجيين، المنسيين، استدعته آمال منهكة وتحليلات مكبوحة، وجد هذا المفكر الكبير نفسه في عالم من التراجم المعمر، تراجم فيه المدى التقدمي والقومي العربي ... جرامشي في مهب الريح ليس بالضبط فمساره يخضع لشروط جغرافية وتاريخية في فرضه التساؤلات، فقد أشير إلى جرامشي في الأول الأمر كغياب من قبل نزعة معادية للجمود العقائدي تفتقد إلى بدائل، ليتخذ في السبعينات صورة مناضل في المشرق، وليجعل منه المغرب في الثمانينات مفكرا، أما في التسعينات فقد أصبح المستشار الذي تلجأ إليه مختلف: المجتمعات المدنية العربية، مجتمعات الدولة والعقيدة والقبلية"[3].

---

[1] موقع العربي الجديد، انطونيو غرامشي، كي لا يختفي المفكر خلف مفاهيمه اطلع عليه يوم 7 مارس 2022.

[2] ميشيل بروندينو، الظاهر لبيب جرامشي في العالم العربي، تر: كاميليا صبحي، الجزيرة، الظاهرة ط1، ص 21

[3] المرجع نفسه ص 29، 30.

و في إطار هذا السياق و للأسف فإن كتابات انطونيو غرامشي لم تأخذ قيمتها المستحقة في الوطن العربي فأنا شخصيا و في إعداد لهذه المذكرة لاحظت الشيء نفسه، كيف لمفكر سياسي له قامة و أثر فلسفي أن تصبح المراجع حوله شبه منعدمة.

المطلب الثالث: الاكتشاف العربي المتأخر للفكر الغرامشاوي

عنونت هذا المطلب "لقاء تأخر" لأني وجدت بعض الالتفاتات المتأخرة نحو غرامشي من قبل مفكرين عرب مهتمين بفكرة، أعادوا قراءة أعماله قدر استطاعتهم و عادوا إلى بعض المفاهيم الجرامشية التي تمس واقعهم مثل "المجتمع المدني والهيمنة وهذا للتعرف على واقعهم الاجتماعي الحالي، وهذا ما يظهر في الاقتباس الموالي:

"منذ عدة سنوات قام مركز البحوث العربية بالقاهرة بتنظيم مؤتمر دولي حول المفكر الإيطالي وقام مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت مؤخرا بالتجميع حوالي مائة مثقف عربي لإعادة التفكير في مفهوم "المجتمع المدني" ومدى ملائمته لتاريخ وحاضر المجتمعات العربية، تم التطرق إلى جميع الموضوعات المتعلقة بأعمال المفكر الإيطالي والتي استرعت انتباه التيارات الفكرية على توسعها بداية من الإخوان المسلمين وحتى اليسار المتطرق كل بينها منها حسب احتياجاته، البعض يناقشون فكرة المثقف العضوي و كأنه عالمية مثل هذه المفاهيم لم تعد تكترث و لا تحفل بالأهداف السياسية التي تأسست عليها".[1]

المراد قوله هنا هو أن المفاهيم والمواضيع الغرامشية التي كانت محور فلسفته انتشرت لدى العرب في واقعة مختلفة فكل و تفسيره وكل وتأويله لها حسب احتياجاته فما هي آخرة هذا اللقاء؟

[1] مرجع سابق، جرامشي في العالم العربي، ص 75.

"لقد مثل هذا اللقاء بالفعل نوعا من الخلاص وفي ظروف عدة سنوات أصبح جرامشي أحد أكثر المؤلفين المقروئين في أوساط اليسار في العالم العربي والحقيقة لا يسعنا إلا أن نقول أن قرائته بالفعل مفيدة، فهي تساعد على تحليل العالم المحيط بنا والمجتمع بمختلف أشكاله، هكذا تزامن اكتشاف فكر جرامشي مع فكرة أهمية الخبرة الاجتماعية، وقد ساعد شدادا الدول على أن تفرض هذه الفكرة نفسها كمسألة يجدر التفكير فيها وكمؤثر اجتماعي أساسي لأية حركة".[1]

بعد كل هذا التأثر به و الانغماس في فكره هل كانت هناك نتيجة ايجابية واضحة مست المجتمع؟ هذا ما يجب عليه ميشيل بروند ليو:

"وبالفعل في ظرف أقل من نصف قرن من التنمية حتى إن جاءت غير صحيحة الدعائم بدأت النظم الاجتماعية في الدول العربية تتنوع و تصفه مع تضاعف مجالات الأنشطة الجديدة والحياة الاجتماعية من مصانع ومدارس وجامعات وخدمات وتجمعات سكنية ضخمة وما يحيطه بها، بدأ تدرج اجتماعي جديد في التكون وأصبح النساء والشباب خاصة الطلبة، أدوار جديدة مؤثرة ... و إزاء هذا النمو الأفقي للممارسات والعمل الاجتماعي وأصبح حل الصراعات يتم من خلال الاتفاق والإقناع والحقوق المشروعة، كما نرى ما يمثل أساسها الإشكالية التي يطرحها جرامشي بشأن الهيمنة، والتي أصبح الناس يقبلون عليها لفهم هذه الأشكال الجديدة من الخبرات الاجتماعية"[2].

وفي إطار السياق الثقافي العربي الذي تأثر بالفكر الجر امشي بشأن الهيمنة و المثقف العضوي، نستطيع القول أن تحليلاته أخذت انتشارا خصوصا تلك التي تناولت الثقافة الشعبية و تنوعها و المنطق الذي يحكم انتشارها.

[1] المرجع نفسه ص 76-77.

[2] المرجع نفسه ص 79-80.

المبحث الثاني: فكرة

المطلب الأول : الإطار العام لفكرة الفلسفي:

عندما يتحدث غرامشي عن المعرفة فهو بفرق بين ثلاثة مستويات هي: 01.الفلسفة 02.الدين 03.الحس المشترك و الفلكلور، ويقول في هذا الصدد: "الفلسفة نظام فكري" "أما الدين و الحس المشترك فلا يمكن أن يكون كذلك و الملاحظ أيضا أنهما لا يتطابقان"[1] هنا جعل غرامشي الحس المشترك عنوان للفكر العامي المكون من خليط كثيف من الأفكار و الشوائب القديمة التاريخية على غرار الفلسفة التي يعتبرها "الحس السليم".

فهي ذات قيمة أعلى و أكثر تعقيدا و ترتيبا و يؤكد أن أفكار كل فيلسوف ما هي إلا أفكار تعبر عن عصره و زمانه أي أنه يربط الفلسفة بسياقها التاريخي التي نشأت فيه ومنه "إن التاريخ و الفلسفة بهذا المعنى شيء واحد لا يتصفان: إنهما يكونان سبيكة واحدة"[2]، يذهب غرامشي هنا إلى ربط قيمة هذه الفلسفة بتاريخها.

أي أن كل فلسفة تعبر عن مجتمع ما فتلعب دورا متبادلا لتعود و تأثر على هذا المجتمع بتأثير سواء كان سلبي أم ايجابي ومدى تأثيرها هو بالتحديد مقياس أهميتها التاريخية لأي فلسفة تقدر بما اكتسبته من فعالية "عملية" بكل معنى الكلمة.

كان الدين و لفترة طويلة على رأس الإيديولوجيات الموحدة للحياة الاجتماعية ومحافظا على الحياة الفردية فإذا أخذنا على سبيل المثال الكنيسة الكاثوليكية حاليا لا تزال تمنع ظهور الديانات النخبوية أو العامية وهنا وجب للفلسفة التدخل لإضفاء طابع الحرية وان تجعل من نفسها خادمة للحياة الاجتماعية بتخلصها من طابعها الفردي الخالص لأنها نخبوية بطبعها. هذا ما يتحدث عنه الدكتور أحمد عمار إذ يقول في هذا الصدد: "...ولا يفي هذا أن تتحول الفلسفة إلى "حس مشترك" بل عليها أعمال تمارس النقد فيها لترجعها حسا سليما، ذلك لأن تاريخ

[1] انطون غرامشي كراسات السجن تر: عادل غنيم منتديات محلية الابتسامة ط1، ص06.

[2] المصدر نفسه ص 24

الفلسفة حمل على الدوام مهمة النقد و يتبع الثقة من القدرة على التفكير بطرق مختلفة و من منطق وجود احتمالات متعددة ومن الخيال المتجاوز للواقع ومن النظر للأمور بطريقة مغايرة، كما أن وعي الإنسان الذاتي و صراعه من أجل إثبات الذات يعتبر جزءا من العملية".[1]

تحدث الدكتور عن النقد الذي مارسه الفلسفة الغرامشية لأنها تطمح لإخراج الجماهير من سلبية الحس المشترك وترشدهم إلى ما هو أرقى في الحياة و يضيف في هذا الصدد ... فانتقال من الطور الثاني أين تتبع النخب و تجدد لها رؤية مستقبلية للنشاط الإنساني تبقى قضية تكوين النخب عملية شاقة وطويلة مليئة بالتعارضات والتقدم والتقهقر، وعندما تتشكل هذه النخب فإنها تتميز عن عامة الناس بحسها النقدي وهي بذلك ترقى عن المعتقدات المتحجرة للعامة وتتميز بمستواها الفكري الذي يدفع العامة لإتباعها.[2]

لقد تصور غرامشي الفلسفة كإمكانية متاحة لكل الناس وليست تأملا ميتافيزيقا فحفزها على الانخراط في اليومي وتعقيداته وهو بذلك يسلك نفس الطرح الماركسي الذي تحدثنا عنه في المطلب الثاني الذي رأى النشاط الفلسفي تفكيرا نقديا مرتبط بالواقع له الصلة الوثيقة بالممارسة السياسية.

"لقد أشار غرامشي في الكثير من محطات فكرة بأهمية ربط أواصل التعاون بين الفلسفة والممارسة، الفكرة التي يستشهد فيها غرامشي "بماركس" كثيرا و ليبرهن على حقيقة ارتباط الوعي بالراكسي ينطلق غرامشي من بديهة يؤمن بها هي أن الفلسفة معطى ممكن لكل إنسان و ليست كما يظن الكثيرين أنها معرفة معقدة مميزة لفئة معينة من النخب.[3]

---

[1] المصدر نفسه ص 24.

[2] أحمد عطار الفلسفة العملية الإيطالية غرامشي نموذجا، موقع الحوار الثقافي.

[3] المرجع نفسه ص 9.

يعتقد غرامشي أن الفلسفة تفكير عفوي موجود عنه كل الناس مادام أن كل إنسان له رؤيا الكون والحياة فإنه يلج الفلسفة من أبوابها.

كما أنها محمولة في ثلاثة عناصر:

- الحس المشترك.
- اللغة.
- التفكير العامي (الفلكلور) المعتقدات والخرافات.

لكن غرامشي يعتبر وجود الأرضية الفلسفة عنه العامة فاتحة إلى خطوة تحضيرية ثانية هي "الوعي النقدي".[1]

المطلب الثاني : فلسفة السياسة:

أصبح غرامشي في أدبيات النظرية السياسية واحد من أهم مفكري القرن 20، هذا ما اتضح لي خلال هذا البحث و الملاحظ أيضا أنه عندما يذكر اسم غرامشي فلا بد أن يأتي بعده أو قبله كارل ماركس، فيعتبر غرامشي صاحب فكر سياسي مبدع داخل الحركة الماركسية إذ يؤكد البعض على أنه أهم مفكر ماركسي بعد ماركس على الإطلاق وهذا ما أكد عليه عبد الوهاب الكمالي في قوله: "...ويطلق على فكرة اسم الغرامشية التي هي فلسفة البراكسيس" أنها ممارسة ونظرية في آن واحد ولهذا فإنها فلسفة سياسية، أنها التاريخ الحي فيه التكون، وهي كذلك تصور للعالم يمكن استخلاصه من الآثار الماركسية"[2] .

إلا أن هذا التأثر الكبير بماركس لم يكن عن إعجاب بقدر ما كان نقديا هذا ما يظهر في مايلي: "مما لاشك فيه أن غرامشي تعامل مع الفكر الماركسي الذي يعتبر المكون الأساسي لفلسفته السياسية، ورؤياه الفكرية، و إشكاليته الثقافية، أقول أنه تعامل مع هذا الفكر ليس تعاملا إيديولوجيا، أو حزبيا، أو اقتصاديا على قدر تعامله معه بطريقة نقدية ترفض القداسة للحزب و

---

[1] المرجع نفسه ص 9.

البراكسي: النشاط العملي والنقدي، الممارسة الإنسانية و المحسوسة.

[2] موسوعة السياسة للكتاب عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط3، 1990، ج4، ص332.

الإيمان بالمبدأ الواحد الذي يفسر حقائق الوجود المختلفة ناهيك عن نقده لنظريات الحتمية والجبرية التاريخية، والنظرات الواحدية التاريخ، كل هذه الرؤى حولت الماركسية إلى أسطورة أو خرافة، أو نظام لا هوتي بدون آلة متعاط".[1]

شخص أيضا الدكتور فيصل دراج هذه الفكرة بقوله: "...لقد تم إرجاع المجتمع كله إلى مفهوم الطبقة العاملة ... أي تم إرجاع المجتمع إلى السلطة القائمة، وأمام امتداد السلسة وتوسعها في التفرد بالمجتمع المدني انعدمت المبادرة الجماهيرية بدت السلطة كلا شاملا لا مكان لغيره. و أصبحت الماركسية فلسفة سلطوية نبرر سطوة السلطة الشاملة، و شمولية السكرتير العام، وفي دائرة الشمولية التي تمثل سلطة تجمع في شخصها القرار السياسي والقرار النظري أخذت الماركسية شكل الفلسفة المنجزة الكاملة".[2]

اندهش غرامشي من الانتشار الواسع للماركسية لم يكن يتصور أن تزدهر في ظل الدغمائية و السلطوية التي كانت تتسم بها لأن نظريته كانت تؤمن أن هناك طاقة إنسانية مكبوتة تستطيع التغلب وتخرج على كل الاتساق السلطوية وهذا تماما جوهر فلسفة البراكسيس لديه والذي سعى جاهدا لتجسيده في الواقع لأن البراكسيس يهتم على الأنساق و الأطروحات العقائدية الميتافيزيقية الجامدة وهذه الملاحظة يمكن ابرازها من خلال هذا النص: "هكذا نرى أن النقد الغرامشي للماركسية جاء ليؤكد النزعة الانسانية ودورها الخلاق و الإداري والفاعل في التاريخ وليس للتاريخ، و لهذا نراه ينتقد الخزينة البيروقراطية... إن غرامشي يطلب من الماركسية ما لم يطلبه غيره فهو يريد أن تكون رؤية علمية ونقدية تكون المرشد والموجه للجماهير الخارقة في سبات الحس الشعبي المبتذل".[3]

---

[1] حيدر علي محمد إشكالية المثقف عند غرامشي، رسالة نيل شهادة الماجستر اشراف مدني صالح 1425 هـ، ص 332.

[2] دراج فيصل، الماركسية، بين العلم و الصوت مجلة النهج الماركسية، عدد مزدوج 23. 24 السنة الدراسية 1989-ص 196.

[3] مرجع سابق، إشكالية المتفق عند غرامشي ص 32. 33.

نفس النقطة تطرق إليها فتحي إبراهيم- على لسان حيدر محمد علي إذ يقول: "كانت المسألة الجوهرية في نظر غرامشي تتمثل في ضرورة تجديد الماركسية أو بالأحرى إعادة التفكير بالماركسية في سبيل تحقيق نهضة ماركسية جديدة انطلاقا من الموضوعات التي تعالجها المنهجية الجدلية، و التي تدور حول معرفة عملية التطورات التاريخية و الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الغرب الرأس مالي عامة و إيطاليا خاصة في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى ... وحيث ساد الضلال الكبير في الماركسية حين تحولت إلى إيديولوجية معتمدة في ذلك على عناصر كثيرة.

إيديولوجيا:

تعتبر الإيديولوجيا أحد أهم المفاهيم التي اعتنت بها الماركسية من ناحية مضمونها وشكلها و آليات اشتغالها فهي حقل متماسك كونه تعبير عن وظيفة اجتماعية و له مستوياته "يحدد غرامشي حقل الإيديولوجيا في شكل هرمية منطقية تتألف من أربعة درجات أو طوابق هي تجسيدات و الأشكال الملموسة التي تتجلى فيها الإيديولوجيا:[1]

1.الحس المشترك أو الفلكلور:

يبدو لنا من الوهلة الأولى ويظهر مدى تشابه مستوى الحس المشترك والفلكلور لأنهما يسمان الطبقة العامة من المجتمع لهذا من جمع هذان المستويان لتشابههما و اقترابهما من بعضهما البعض: "اهتم غرامشي بالتفكير العامي للشرائح الأقل ثقافة في المجتمع وفهم وعيهم الحسي البسيط الذي يكاد يخلو من كل ثقة وعمق تفكير ومع ذلك تعبر الجماهير عن نفسها بداخله رغم هشاشته و وقوفه على التجربة اليومية واقترابه من الاعتقاد و الإيمان كالدين ... يعتبر الفلكلور أكثر تصلبا وتحجرا من الحس المشترك المرن كما أنه أكثر تشويشا وعدم تماسك عكس هذا الأخير الذي رغم تهلهله فإنه أكثر انسجاما ومنه فيبقى في القاع كترسبات في أسفل

[1] مرجع سابق ، إشكالية المثقف عند أنطويو غرامشي ، حيدر علي ، ص 32-33

الحياة الثقافية الاجتماعية فهي ترتفع لتشكل تصورا موحدا للعالم ولا تعد و أن تكون شجرات متناثرة كما تبقى من التحولات التاريخية.[1]

الدين الشعبي والنظام الداخلي للمعتقدات، الخرافات، و الآراء وطرق رؤية الأشياء والعمل كلها تجمع تحت اسم الفلكلور و بالرغم من المقاطع المتعددة التي تحدث بها غرامشي عن وجود عناصر جيدة في الفلكلور أو الحس المشترك فإن التقييم الساند في كتاباته حول الثقافة الشعبية كان سلبيا.

2.الدين:

يعد الحس المشترك يأتي الدين والذي كما قلنا سابقا هيمن لزمن طويل على البشرية وما يزال: "له قدرة كبيرة على تحريك الجماهير والتأثير على وعيها الأمر الذي دفع غرامشي إلى الاهتمام به من حيث ماهيتها (كرؤيا للعالم) وتطبيقاته (الطقوس و الشعائر الممارسات والسلوكيات) و من بين الديانات الكبرى في العالم ركن غرامشي اهتمامه على المسيحية الكاثوليكية مجسدة في مؤسستها الشهيرة "الكنيسة الكاثوليكية في روما" وعبر تراتيبها الهرمية وتنظيمها الرمزي والبيروقراطية (الألكيروس)* و لاحظ غرامشي مدى سطوة الفاتيكان على وعي الإيطاليين مستعينا بالصحف والأحزاب المسيحية و الإعلام".[2]

على العموم بان فكر أنجلو نيوغرامشي الخاص بالهيمنة الثقافية يؤكد أن البورجوازية تهيمن على المجتمع ثقافيا إلى درجة أنه حتى الطبقة العاملة تتبنى أفكارها وتصوراتها وبالتالي فالهيمنة لها ليست مادية و إنما فكرية لينتج عن تلك أن أفكار الطبقة المهيمنة تصبح بالقدرة أفكار المجتمع كله حتى لا يعود يتجرأ أحد على معارضتها ويمكن القول بأن الكنيسة الكاثوليكية خير مثال على هذه الهيمنة، فهي مرتبطة بالبرجوازية الإيطالية بشكل و ثيق بل إنه توجهها دينيا وفكريا وروحي، إنها متواطئة مع البرجوازية في استغلال العمال والفقراء فهي الوحيدة القادرة

[1] مرجع سابق، الفلسفة العملية الإيطالية، ص 10.

[2] مرجع نفسه، ص 11.

*الألكيروس: رجال الدين.

على إقناعهم بقبول الأمر الواقع الجائر لأن الشعب يقدس الكنيسة ورجال الدين ويعتقد أن الباب معصوم في حين أنه بشر يصيب و يخطئ.

3.الفلسفة:

إن ما يقصده غرامشي بالفلسفة هو "فلسفة البراكسيس" الفلسفة المتحوصلة في الصراعات الاجتماعية، الفلسفة الايجابية التي تؤثر في المجتمع وتغيير تاريخه ويعكس تفكير الماركسي، إذ يقول ماركس: "إن الفلاسفة لا يظهرون من العدم بل هم نتاج مجتمعاتهم وعصرهم بل هم الثمرة الأغلى لواقعهم"[1] حيث اعتبرها غرامشي الوعي التاريخي لطبقة اجتماعية والفلسفة عند غرامشي ليست مجرد تصور للمال، بل هي أيضا عمل من أجل تغيير هذا العالم فلقد جعل ماركس دور الفلسفة ليس الوصف إنما العمل على التغيير بينما العنصر الأساسي في فكر غرامشي هو اتحاد الفلسفة بالتاريخ وهو بذلك يرفعها من مجرد تفكير فردي محدد إلى ظاهرة جماعية لكنه في نفس الوقت يستبعد نوعا من الفلسفة المستقلة التي لا تهتم بالتاريخ والواقع الاجتماعي وتكتفي بالتفكير الموغل في الفردانية و الغموض.

و أضاف حيدر على تلك في ربط منه الإيديولوجي والفلسفة و السياسة مايلي: "هناك علاقة قوية بين الإيديولوجيا والصراع الطبقي فالممارسات السياسية لكل طبقة اجتماعية تحركها الإيديولوجيات تحفزها و تحدد غايتها و بما أن الفلسفة أحد مستويات الإيديولوجيا فإنها بالتالي متورطة تاريخيا في السياق العام للصراع السياسي وتبقى حلقة الوصل والانتقال من علاقات الإنتاج (المستوى الاقتصادي) إلى الوعي الإيديولوجي (المستوى السياسي)" وهي هنا لا تحمل دلالة سلبية كما حملها إياها ماركس بل تصبح إيديولوجيا ايجابية مادامت يتحرك بداخلها الناس و يكتسبون عن طريق وعيهم بذاتهم و يضيف أيضا في هذا الصدد: "إن الايديولوجيات تقوم بدور حاسم في تعبئة الناس ثم حشو وعيهم إلى تنظيمهم و تحريكهم، و يشبه غرامشي لهذه

[1] Moss, inter éduction a la critique de l’économie politique psf paris 1966 pp 4.5.

العملية بوظيفية البنائين في التخطيط بناء الهيكل ثم إنهائه ... تقابل الأدبيات السياسية دوما مجتمعين داخل الدولة الأول يسمى: المجتمع المدني* و الثاني المجتمع السياسي وداخل هذه البنية تسعى الطبقة المسيطرة دوما الإبقاء الوضع على ما هو عليه و انتزاع الشرعية من الجميع على أحقية البناء الاجتماعي القائم و تستعين في ذلك بـ:

1. المؤسسات الدينية.
2. المؤسسات التربوية (المدارس، الجامعات ...الخ)
3. المؤسسات الإعلامية (الراديو، الصحف ...الخ).

أما المجتمع السياسي فتجسده الدولة:

1. الجهاز العسكري.
2. جهاز الشرطة.
3. مؤسسات الدولة القانونية.[1]

المطلب الثالث : دفاتر السجن:

لا يمكننا الحديث عن أنطونيو وأن لا نتحدث عن مولقفه السياسية التي أدت به إلى إكمال حياته في السجن ، لكن لما لا نر الجانب الأخر لأنطونيو غرامشي الذي تميز بكفاحه حتى في السجن حتى وهو بين القضبان لم يترك شرفه يتلاشى حيث كتب دفاتر عبارة عن حياته اليومية في الزنزانة ولكنها أيضا امتداد لأفكاره وتكملة لحياته

يقول مترجم كراسات السجن الأستاذ عادل غنيم على لسان حيدر علي عن هذه الترجمة: (إن هذه الكراسات حررها وترجمها إلى الانجليزية كينتين هور و جيفري سميث و نشر دار كورنس و ديشارت لندن 1978) هذا في ما يتعلق بالترجمة الانكليزية، أما عن الترجمة العربية فترجمها عادل غنيم وطبعت في القاهرة سنة 1994 ويكمل قائلا: (وقد بدأ غرامشي العمل

*يعتبر غرامشي أن استعمال مفهوم المجتمع المدني عند هيجل يعني هيمنة فئة معينة على المجتمع كله أما في التصور المسيحي، يقابل مجتمع الكنيسة إلا أن غرامشي يدرج المجتمع المدني والسياسي ضمن البنية الفوقية.

[1] أحمد عطار، الفلسفة العملية الإيطالية غرامشي نموذجا ص 11.

بكراسات السحب في فبراير شباط 1929 و فرغ منها 1935، وتبلغ 33 كراسا (دفترا) وكان غرامشي يصنفها نفسه بـ بؤرة حياتي الداخلية).[1]

كتب غرامشي أكثر من 32 مفكرة أي ما يعادل 3000 صفحة والواقع أنه كتب الـ 30 دفتر أثناء الأحد عشر عاما التي قضاها في السجن نظرا لمواقفة السياسة وهي تضم بأملاته العميقة حول المجتمع الإيطالي وحول النظرية الماركسية: وحول النظرية النقدية ونظرية التربية ...الخ ومن أهم المصطلحات التي شاعت وتبلورت في الدفاتر و لا تزال تستخدم إلى الآن، مصطلح الهيمنة الثقافية، و المثقف العضوي و التمييز بين المجتمع السياسي والمجتمع المدني وبشكل مدقق نقول أن هذه الدراسات كتبت في الأزمة البنيوية والهيكلية للرأسمالية و أزمة تشكل البديل البروليتاري وهذا ما يظهر جليا هنا: "كتبت في اللحظة التاريخية لهزيمة الثورة (البروليتارية في أروبا وتحديدا في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى".[2]

يبدو في الوهلة الأولى أن مشكل هذه الأزمة سياسي أي أنه سيعالج بطريقة سياسية أيضا هذا ما يشترك انعكاسا على طبيعة كتابة دفاتر السجن و لكن عندما نرى ترتيب فصول هذه الدفاتر نجد أن أغلبية التركيز على موضوع المثقف و علاقته بالمجتمع والتاريخ كما تعرضه الترجمة العربية وهو كالآتي:

القسم الأول: قضايا التاريخ والثقافة وفيه:

1. المثقفون 2.حول التعليم 3.ملاحظات حول التاريخ الإيطالي.

القسم الثاني: ملاحظات حول السياسة و يشمل:

1. الأمير الحديث. 2.مشكلات الماركسية 3.الأساليب الأمريكية و الفوردية.

القسم الثالث: فلسفة الممارسة (براكسيس) ويشمل

[1] مرجع سابق ، إشكالية المثقف ، حيدر علي

[2] المصدر نفسه.

1. دراسة الفلسفة. 2.مشكلات الماركسية. 3.قضايا عامة، وتشمل متفرقات مثل وقضايا أخرى.[1]

محتوى الكتاب:

تمكن غرامشي، و على الرغم من تعرضه لإزعاجات فظيعة من السجانين داخل زنزانته أن يكتب هذه الرسائل التي انطوت على عمق في التفكير وبعد رؤيوي سياسي اجتماعي ثقافي وحتى اقتصادي وهذا ما تجلى لنا في الأقسام الثلاثة للكتاب يغلب على الكتاب طابع الذهنية الذكية من خلال الرسائل التي يوجهها لوالدته فهذا الكتاب برمته يحتوي غالبا على رسائل تؤكد قوة التحمل لديه التي هي نوعا ما رسالة قوية ضد الظلم والاستبداد إذ يقول: "حياتي تتدفق دائما بنفس الطريقة أقرأ آكل و أنام وأفكر لا أستطيع أن أفعل أي شيء آخر ولكن أنني لا ينبغي أن تقلقي أو تتوجسي و على وجه الخصوص لا يجب أن يتهيأ لك أي شيء".[2]

ينوه غرامشي في سرده ليومياته إلى شيء هام، حين يكتب: "في الآونة الأخيرة تخليت عن قراءة الجرائد لكي أتمكن من قضاء بعض الوقت رفقة معتقلين آخرين الرفقة ليست كما تتخيلين، هي ما يمكن أن يمنحه السجن لأنه غير مسموح أن أذهب لزيارة معتقلين سياسيين، يتعلق الأمير إذن بسجناء الحق العام مع ذلك أجد القليل من التسلية والوقت يمر بسرعة"[3] العبارات الأخيرة تدل على خوف السجن من السماح له أن يختلط مع مفهوم في مثل حالته إذ أن السياسة تستطيع أن تجد النفوذ إلى عقل الآخرين حتى في السجن.

---

[1] المصدر نفسه.

[2] رسائل السجن لأنطونيو غرامشي العودة للماضي اعتقال الاستفادة من الراهن الموقع الفرات للدراسات

[3] نفس المصدر ص 45.

يضيف على مشي قائلا في موضع آخر: "برهنت لي تجربتي أني أكثر قوة حتى جسديا، أو أكثر مما كنت أتصور هذه العوامل كلها تساهم في جعل نظرتي إلى المستقبل "القريب نظرة باردة وهادئة"[1] هناك مع الأخذ بعين الاعتبار أن الأحداث مرتبة ترتيبا زمنيا يظهر لنا أن الكاتب بدأ يتجه نحو الحديث إلى أمور خاصة وهنا تحدث عن قوة صبر وتحمله التي اندهش منها المستبد إذ كان يظن هذا الأخير أنه يسيطر على غرامشي و على فكرة وهذا ما يوضحه أكثر في قوله: لم أسترجع بعد قوتي الجسدية والذهنية كاملة خلال الأيام التي قضيتها في "تورينو" كنت منهكا بشكل يشرف على الكارثة و كان استئنافي لأنشطتي بطيء، تتخلله انتكاسات نحو الأسوء تارة ونحو الأحسن تارة أخرى على كل حال، أنت تعرف من تحمل المراحل العسيرة، بالهزات التي عشتها أحيانا".[2]

مما لا شك فيه أن لهذا الكتاب عبارة عن يوميات أصبحت مع مرور الوقت أياما و أعواما متراكمة من النظال والكفاح للكتابة داخل معتقل ليتحدث غرامشي عن هذا المعتقل لأمه و عن الخيانة و عن الموقف اللاأخلاقي للخونة في قوله: لكن يجب أن تأخذ بعين الاعتبار أيضا الموقف الأخلاقي ألا تتفقين معي في هذا؟ وربما هذا وحده ما يمنح القوة والكرامة، السجن شيء رهيب لكنه بالنسبة لي إذلال إذا رافقه الضعف الأخلاقي و إذا صاحبته الخيانة فالأمر أشت سوءا".[3]

لا يكف حتى عن الاهتمام بأوضاع العامة من الناس فيرسل متسائلا: "ما كتبته لي غرازبيتا شغلني كثيرا فإذا كانت الملاريا تتسبب غالبا في داء السل، فهذا يعني أن الشعب يعاني من سوء التغذية أريد من غرازبيتا أن تزودني بمعلومات كما تأكله أسرة خلال أسبوع".[4]

---

[1] نفس المصدر ص 54.

[2] نفس المصدر ص 91.

[3] نفس المصدر ص 62.

[4] نفس المصدر ص 82.

حتى و هو داخل السجن كان ضميره حي و أر اد إيجاد حلول للمشاكل التي يعيشها المجتمع فإن أخذ السجن منه حياته أو حريته فإنه لم يأخذ تفكيره وضميره ونضاله المستمر، للأسف لا يمكنني الإحاطة بالمحتوى الدقيق للكتاب بأكمله في بحث قصير نسيب فالأمور الموجودة داخل الرسائل تتوضح مع القراءة المتأنية إلا أن ما لفت انتباهي و أنا أقلب تلك الصفحات هو صفة واحدة متكررة كفعل يومي "المقاومة".

فهذا الأخير حقق من خلال الاعتقال كل المجد في أن يكتب وبدون و يناضل لأجله ولعائلته ولأجل الشعب وحقوقهم المختلفة.

الفصل الثاني:

إشكالية المثقف عند غرامشي

المبحث الأول: ما يتعلق الثقافة:

تمهيد:

بعدما تجاوزنا العلوم التجريدية والميتافيزيقية وبعدما فرشنا الأرضية الفكرية والفلسفية و الإيديولوجية التي سوف يقف عليها المثقف نكون قد وصلنا إلى أهم جزء من بحثنا وأقصد هنا المثقف وا ٍشكاليته هذا يعني أننا سنعمل على منطقة الفكر الدنيوي التاريخي البراكسيسي إن صح التعبير وهذا بالضبط ما قصدت غرامشي عندما أكد على أنه لابد علينا الانتقال بالفكر الإنساني من ممارسة الوظيفة الجنائزية الكامنة في لا شعور الذهن البشري إلى الممارسة النقدية على هذه الأشكال وصور التفكير المتمثلة بكل ما هو ميتافيزيقي أولا هوتي أو خيالي وما أتى به أنطونيو غرامشي في هذه الإشكالية ليس بقليل هذا ما يجعلنا نبحث في طبيعة تكوين المثقف لاكن هناك سؤال جوهري يطرح نفسه هل نسأل نحن هنا المثقف بطريقة ماهوية (أي ما هو المثقف) أم نسأل بطريقة وظيفية (كيف هو المثقف) هذا ما سنبحث فيه ونستعرضه لكم.

المطلب الأول: مفهوم الثقافة:

بين المعلوم أن مصطلح المثقف وليد الثقافة الغربية الحديثة ولم ينتقل إلى المرتبة إلا عبر عملية الترجمة التي بقيت على الرغم من تطورها ترتكز على الاجتهادات الفردية وذلك راجع إلى غياب المربعيات الثقافية النافذة التي يمكن أن تؤطر عملية الترجمة وتوجهها ثم إنه لمن المتعارف عليه أن كل ترجمة خيانة وقد لخص إبراهيم كايد محمود هذه المشكلات بـ: فوضى المصطلح وغياب المنهجية الموحدة لوضع المصطلحات الملزمة لكل من أراد أن يمد يده إلى هذا العمل، كذلك اختلاف اللغات التي نتوجه عنها أو ننقل منها والمدارس التي نتبنى آراءها منهجيتها، إضافة إلى ثقافة الناقل أو المصطلح التي تنعكس في ما يقدمه من مصطلحات، كل منه الأمور عقبات كأداة تقف حائلا بين تقدم المصطلح وتطوره في العالم العربي"[1].

[1] كايد محمود إبراهيم، المصطلح ومشكلات تحقيقه، مجلة التراث العربي العدد 97 السنة الرابعة والعشرون، مارس 2005.

لغة:

يقابل كلمة مثقف العربية كلمة الفرنسية وكلمة الانجليزية وهما مشتقتان من التي تميل إلى معاني العقل والفكر و الإدراك والذكاء و بالانتقال إلى المعجم العربي سنجد في (لسان العرب) لابن منظور: "ثقف الشيء ثقفا وثقفا وثقوفة: حذفه ورجل ثقف وثقف: حاذق وفهم ويقال ثقف الشيء هو سرعة التعلم".[1]

هذت ويشير محمد عابد الجابري في كتابه المثقفون في الحضارة العربية الإسلامية إلى مشكل منهجي مهم، و هو أن كلمة مثقف في المعجم العربي تحيل رأس إلى كلمة ثقافة.

يمكن أن نستنتج من ما سبق أن الظاهر لنا هو وجود اختلاف واضح في التعريف بالمصطلح خصوصا بين المعجم الغربي والمعجم العربي وهنا يتجلى الإشكال الذي تكلمت عنه سابقا وهو موضوع الخيانة ف عملية الترجمة: هذا في ما يخص المدخل اللغوي، فكيف سيكون الاصطلاحي؟

اصطلاحا:

جل ما يمكن قوله عن هذا الجزء هو السهل الممتنع بإدانة وكما هو شائع أن المصطلحات التي تتداولها الألسن كثيرا تصبح عامية وغير دقيقة وذلك شأن كلمة المثقف التي نتداولها بسهولة إلا أنها لا تقابلها السهولة في تحديد المدلول وهذا ما يأكد عليه عبد الهادي كشت في تمثيلات المثقف "...ويؤكد (المعجم النقدي لعلم الاجتماع صعوبة تعريف كلمة المثقف غير أن عملية التعريف يمكن تنجز عبر مجموعة من المؤشرات التي يمكن أن نبحث فيها أولا عن المثقفين، من هنا فليس بالإمكان أن نتحدث عن المثقف الأمي أو الجاهل مثلا، وا ٍذا كان لكل مثقف هو صاحب معرفة بالضرورة، فهل بعد كل صاحب معرفة مثقفا؟. الإجابة تكون هنا بالنفي، إذ لا بد أن تتوفر مجموعة أخرى من الخصال في صاحب المعرفة لكي يوسم

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف القاهرة 1999، ج1، ص 492.

بالمثقف الخصائص التي نقترح تعريف المثقفين بها، ويقتضي أن تصنيف سمة ثالثة لتميزهم بها وتتعلق بالآداب التي يعلنون التمسك بها".[1]

يمكن أن نستنتج من ما سبق أن مؤلفي المعجم النقدي لعلم الاجتماع، و صف بعض الشروط التي تبدو صحيحة وقد تكون أساسية في تحديدهم للمثقف وأوجزها في العلم، الوعي، الالتزام.

أما المفكر عبد الله العروي فيعرف المثقف بأنه: "تطلق الكلمة عامة إلى المفك أو المتأدب أو الباحث الجامعي، و بعض الأحيان حتى على المتعلم البسيط، يبدو أن المفهوم لا يكون أداة للتحليل في العلوم الاجتماعية إلا إذا أطلق على شخصية تظهر في ظروف جد خاصة".[2]

يضيف هنا عبد الله العروي خاصية أخرى مميزة للمثقف بالإضافة إلى خاصية مجال الاهتمام والانشغال وهي ظهور في سياق هام كظروف اجتماعية وسياسية خاصة.

ورد في كتاب المثقفون في العصر الوسيط للمفكر جاك لوكوف تعريف عام وشامل لمفهوم المثقف يعتبر المثقفون (الذين يشتغلون بالثقافة ابداعا وتوزيعا وتنشيطا، الثقافة باعتبارها عالما من الرموز يشمل الفن والعلم والدين) ويمكن تقسيمهم إلى الفئات التالية (نواة تتكون من المبدعين والمنتخبين من علماء وفنانين وفلاسفة وكتاب وبعض الصحفيين، يحيط بها أولئك الذين يقومون بنشر ما ينتجه هؤلاء المبدعون مثل الممارسين لمختلف الفنون ومعظم المعلمين والأساتذة والصحفيين يليهم ويحيط بهم جماعة تعمل على تطبيق الثقافة من خلال المهنة التي يمارسونها مثل الأطباء والمحاميين).[3]

[1] عبد الهادي كشت، تمثيلات المثقف المقاوم، نقلا عن المعجم النقدي لعلم الاجتماع العدد الخامس، نيسان- أبريل 2018، ص 5.

[2] عبد الله العروي، ثقافتنا في ضوء التاريخ المركز الثقافي العربي، ط6، 2002 دار البيضاء بيروت ص 172.

[3] محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، دراسات الوحدة العربية ط3، بيروت لبنان 2008، ص 24.

مفهوم المثقف في الحقل الدلالي الفرنسي:

ظهر لفظ المثقفين في فرنسا لأول مرة مع صدور (بيان المثقفين) سنة 1998 وهو البيان الذي وقفه مجموعة من الكتاب والمبدعين والمفكرين الفرنسيين لكبار أمثال إميل زوالا ومارسيل وآخرون تضامنا مع الظابط الفرنسي ذي الأصول اليهودية ألفريد دريفوس الذي حكم عليه بالنفي إلى منطقة أخرى بعد اتهامه بالتجسس لصالح ألمانيا وبعدما أثبتت عائلته براءته وجمعت الأدلة طالبو بإعادة المحاكمة ونشرت جريدة فرنسية البيان وكان بمثابة اللحظة التأسيسية لظهور مفهوم المثقفين في فرنسا.

الأمر الذي جعل من هذه الحادثة مرجعية تاريخية لاستعمال مفهوم المثقف وهو كالتالي: المثقف هو كل مستقل في المجال الفكري أو الأدبي أو التاريخي والمدافع عن قضايا حقوق الإنسان.

و هو التعريف الذي وصل إلى استنتاجه المفكر محمد عابد الجابري من حادثة دريفوس (لقد كان هذا اللفظ الذي يقابله بالعربية لفظ فكريون يستعمل كوصف ونعت ثم رفع إلى مستوى الاسمية ليصبح علما على جماعة من الناس هو أولائك المفكرون والآداب والمؤرخون ... الذين قاموا بتلك الحركة الاحتجاجية دفاعا عن حق الضابط المتهم بالتجسس في محاكمة عادلة).[1]

بصفة عامة هناك شبه إجماع بين الجمهور الباحثين والدارسين لمفهوم المثقف على أن حادثة دريفوس هي لحظة البدء والميلاد الفعلي للمفهوم بالمعنى الشائع والمتداول اليوم ويبقى مفهوم المثقف مفهوما غنيا، متعدد الأوجه والدلالات لكنه في العموم يميل إلى الإشارة إلى فئة خاصة توجد بكل المجتمعات تكتسب ثقافة وفكر خاصا بها يعطيها الأولوية في توجيه الرأي العام وقيادة المجتمع.

[1] الجابري، مرجع سابق ص24.

المطلب الثاني : التعريف الغرامشي للثقافة:

يرى أنطونيو غرامشي في تعريفه لهذا المصطلح الذي أحدث ضجة كبيرة أن ما يحكم تعريف للمثقف ليس الخصائص الجوهرية لنشاطه الذهني فحسب، بل الوظيفة الاجتماعية التي يؤديها المثقف لمجتمعه: "من هو المثقف؟ من التصنيفات والمراتب التي تحددها الرؤية الأكاديمية الصرفة، و السوسيلوجية والتي تعتمد على معايير التخصص الدقيق والتقنية في التعليم والمهنة ، ووظيفتها التكنوقراطية والبيروقراطية، ومستوى المعيشة، ونمط الاستهلاك وأسلوب الحياة، و على معايير سياسة، ونظرة إيديولوجية وثقافية في إطار متعدد مستويات الانتساب التي نجدها عند المثقفين في المجالات المتعددة، الاقتصادية والبحث العلمي، والتقني والتعليم والسياسة، والإيديولوجية والثقافة، ضمن إطار التقسيم الاجتماعي السائد، غير أن غرامشي في تحديده لمفهوم المثقف نجده يتخطى جدليا وتاريخيا المفهوم، الذي كان سائدا في القرن التاسع عشر الأوربي، و الذي يتسم بالتمييز بين العمل اليدوي والفكري والذهني، والعمل اليدوي والساعد بتوجيه ضربة قاضية للأفكار المسبقة حول المثقفين بوصفهم طبقة وراثية مقلقة حين قال إن كل البشر مثقفون مستدركا في الوقت عينه ولكن ليس لكل البشر وظيفة المثقفين في المجتمع والحال هذه فهو يعتبر كل إنسان يمارس مهنة وحتى خارج مجال مهنته هو إنسان يمارس نوعا ما من النشاط الثقافي، أي أنه فيلسوف فنان إنسان متذوق، يشارك في تصوره عن العالم لديه خط واع لمسلك أخلاقي، ومن ثم فإنه يسهم في دعم أو تعديل تصور ما عند العالم أي يثير سبلا جديدة في التفكير".[1] ويعقب المدني توفيق على لسان حيدر محمد علي

(المسألة إذن لا علاقة لها بالبلاغة أو كم المعلومات ولا حتى بالإنتاج العلمي أو الإثني وكثرة الكلام بالندوات والمحاضرات، وا ٍنما تحديدا بما يقدمه المثقف لمجتمعه).

فكل عمل مهما كان بدائيا ففيه إلى حد ما شيء من النشاط الذهني وبهذا المعنى نفهم مقولة غرامشي "كل الناس مثقفون" ولكن ليس كل نشاط مهني يقوم بوظيفة المثقف، وليس لكل

[1] مرجع سابق ،حيدر محمد علي

إنسان وظيفة المثقف في المجتمع يقول غرامشي في دفاتر "عندما نميز بين المثقفين وغير المثقفين فإننا في الحقيقة نشر فقط إلى الوظيفة الاجتماعية المباشرة التي يؤديها المثقف في المجتمع"[1]

"إذن فتحليل غرامشي لمفهوم المثقف مثلما هو تصنيفه للمثقفين ينطلق من مقولة النقض الثوري لكل فراق بين العمل المهني والفكري، والعمل اليدوي لأن في نظره أن عمل عضلي حتى في شكله الأكثر ميكانيكية وابتذالا يوجد قدر ولو بسيط من التأهل التقني أي فاعلية ذهنية مبدعة".[2]

إذن تحلي غرامشي لمفهوم المثقف ينطلق من النقص الثوري لكل فراق بين العمل الذهني و الفكري والعمل اليدوي لأن في نظره أي عمل عضلي حتى في شكله الأكثر ميكانيكية يوجد قدر و لو بسيط من التأهيل التقني أي فاعلية ذهنية مبدعة لقد أنكر المناضل الإيطالي في وقت مبكر هذه التفرقة فوصف المثقف بأنه ذهني و العامل أنه يدوي.

(إنه خطأ المنهج الأكثر شيوعا، هو في البحث عن معيار للتمييز فما هو أكثر جوهرية في النشاط الذهني وليس في مجموع نظام الروابط التي تأتي هذه النشاطات الذهنية لتكتشفها في صدر عقيدة العلاقات الاجتماعية العامة، وفي أي عمل جسدي وحتى أدنى من النشاط العقلي الخلاق ولذلك يمكننا القول إن كل الناس مثقفون ولكن لا يمارس كل الناس دور المثقف).[3]

إذن وحسب تعبير غرامشي أن كل البشر مثقفون لأنهم يمارسون تلك التفكير الذهني المجرد الذي يميز المثقف لكنهم لا يمارسون وظيفة المثقف التي ربما لا يمارسها المثقف نفسه، وهذه الوظيفة الاجتماعية هي معيار التفرقة بين الوظيفة الفكرية والبراكسيس الوظيفي بقول غرامشي:

---

[1] مصدر سابق، أنطونيو غرامشي (دفاتر السجن) ص 123.

[2] مصدر سابق، المدني توفيق (فكر غرامشي ص 76.

[3] غرامشي أنطونيو: قضايا المادية التاريخية مصدر سبق ذكره، ص 131.

(عندما نميز المثقفين عن سواهم لسنا نشير في الحقيقة إلا إلى الوظيفة الاجتماعية المباشرة التي تمارسها فئة من المثقفين أي أننا نأخذ بعين الاعتبار الوجهة التي يبذل فيها النشاط المهني المخصوص في البلورة الفكرية أو في الجهد العضلي العصبي، هذا يعني أنه إذا كنا نستطيع التحدث عن مثقفين فالحديث عن غي المثقفين لا معنى له، إن العلاقة بين جهد البلورة الفكرية الذهنية وبين الجهد العضلي العصبي ليست بالعلاقة الثابتة لذا فنحن هنا أمام مستويات متفاوتة من النشاط الفكري المخصوص، فليس ثمة من فعالية بشرية لا يدخلها جهد فكري، يستحيل عزل الإنسان الصانع عن الإنسان العارف، وأخيرا يمارس كل من فعالية ذهنية معينة خارج نطاق اختصاصه المهني، إنه بعبارة أخرى فيلسوف أو فنان يساهم في تعزيز رؤية شاملة ما أو في تغييرها، أي في تشجيع أنماط تفكير جديدة).[1]

يتضح لنا هنا أن غرامشي لا يستطيع أن يحدد تعريف محددا لمفهوم المثقف لأنه يرى أن الثقافة هي أعدل الأشياء قسمة بين الناس كما قلنا سابقا وليست حكرا على فئة معينة أو شريحة معينة لأن اليدوي والفكري مشتركان ومتلازمان بنسب متفاوتة لكل عمل يقول بيوتي في هذا الصدد: "انظر إلى أن المظهر اليدوي والمظهر الفكري مشتركان وملازمان بنسب متفاوتة لكل عمل فإن تعريف المثقف على أساس ذلك الانقسام لا يمكن أن يساعدنا على إيجاد ما هو خاص، ونوعي وغير قابل للإرجاع إلى أي مقولة أخرى في مقولة المثقف وسوف يستخدم غرامشي إذن معيارا آخر فالمثقف سيجري تحديده بالمكانة والوظيفة اللتين يشغلهما في مجمل العلاقات الاجتماعية وعليه أن ما يميز العامل ليس الطابع اليدوي لعمله، وا ٍنما كونه في إطار نمط الإنتاج الرأسمالي غير مالك لوسائل الإنتاج ومنتجا للقيمة"[2]

[1] المصدر نفسه ص 133.

[2] بيوتي، جان مارك: فكر غرامشي السياسي ترجمة جورج طرابشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، يدون بتاريخ نشر ص 12.

ويقول غرامشي: "أنني أوسع كثيرا مفهوم المثقف و لا أحدده بالمفهوم الدارج الذي لا يقيم وزنا إلا لكبار المثقفين".[1]

إذن فغرامشي لم يكن معنيا بالمثقفين الكبار أو المثقفين النجوم الذي يتصدرون عناوين الصحف والكتب والمجلات واللقاءات التلفزيونية بل إنه لم يكن معنيا بالمثقفين بشكل عام، الذين انفصلوا عن تصورات الطبقات التي تحتاجهم في إعادة تشكيل آراءهم المعرفية والشعبية والدينية حيث نجده مهموما بالطبقة الاجتماعية وبتصوراتها الذهنية.

فالبحث عن المثقفين يجب أن يكون بحثا في إطار الوظيفة التي تمارسها هذه الطبقة أو تلك بحكم المكانة التي تحتلها في نمط الإنتاج، وهو البحث الذي لم يقم به العديد من الفلاسفة المهتمين بقضاياه.

المطلب الثاني :الأطر التاريخية لطبقة المثقفين:

ارتأيت في ختام هذا الجزء أن أضع صورة تاريخية مجملة للمثقف وأن أبحث في طبيعة تكوين المثقفين والإجابة على سؤال لا بد له بطرح في هذه الرسالة وهو هل يشكل المثقفون طبقة مستقلة عن المجتمع أم أنهم طبقة مدمجة تاريخيا بطبقات المجتمع المتعددة؟

"من هم المثقفون؟ أهم طبقة في ذاتهم؟ أم شريحة طبقية؟ هل هم شريحة تنتمي للنخب وهل يمثلون ضمير المجتمع؟ هل يشكلون جماعة أو طبقة متجانسة؟ هل يمثلون موقفا محددا في علاقات الإنتاج القائمة، لا شك من الصعوبة بمكان تحديد طبيعة التكوين الاجتماعي للمثقفين حيث أنهم يختلفون في أصولهم الاجتماعية ومصالحهم التي يرغبون تحقيقها وفي اتجاهاتهم السياسية، وبهذا الصدد اختلفت رؤى المثقفين أنفسهم وتعددت اتجاهاتهم الفكرية في تشخيص وتحديد طبيعة التكوين الاجتماعي للمثقفين، فاتجه فريق من الباحثين إلى تقديم براهين تؤيد الطبيعة الطبقية للمثقفين، بينما اتجه فريق آخر إلى تعريف المثقفين بأنهم نخبة اجتماعية

[1] مصدر سابق، دفاتر السحب أنطونيو غرامشي ص 124.

متميزة ويذهب فريق ثالث وهو يمثل الاتجاه الغالب في علم الاجتماع حيث يعتبر المثقفين إحدى الفئات الاجتماعية"[1]

يظهر لنا الدكتور تصنيفه من حيث التكوين الطبقي، الاجتماعي، ولاكن هذا عن إشكالية ظهور الطبقة المثقفة في المجتمع؟ وهل هناك دور لها؟.

يضيف: "يشير جولدنر، إلى أن المثقفين يمثلون أحد جناحي الطبقة الجديدة حيث تعد هذه الطبقة فريدة من الزاوية التاريخية و يشكل المثقفون الاديكاليون العناصر القادرة في هذه الطبقة والتي سوف تلعب الدور القيادي ويعدون مدخل الثورات ومفتاحها في عصرنا الراهن ويؤكد الباحث، أن من يتجاهل ذلك فكأنما ينكر ويتجاهل التاريخ الثوري للقرن العشرين ... يؤكد العديد من المفكرين والباحثين على انتماء غالبية المثقفين إلى الطبقة الوسطى وا ٍن كانوا قد أطلقوا عليهم مسميات مختلفة فقد أطلق عليهم مور بيرجور *: الطبقة المتوسطية المهيمنة كما أسمهم جاك بيرك "النخبة المثقفة" في حين عرفهم جيمس بيل: النخبة المثقفة البيروقراطية المهيمنة، و يشير روبرت بريم إلى أن المثقف الحديث أضحى بروليتاري النزعة و يشير راين ميلز متأثرا بفيبير إلى أن المثقف يمثل مكانه في الطبقة المتوسطة الجديدة ويرى ميلز كما رأى من قبله فيبر إن الوضع الذي يمثله الفرد في منظومة التدرج داخل المجتمع ينهض وفقا لعدد من المقومات هي مصدر الدخل وكميته وقوة الشخص في السيطرة على سلوك الآخرين".[2]

إذن هذا يعني أن المثقفين يشكلون طبقة اتصال وقيادة بينها وبين المجتمع الذي يمثلها فدورها ثنائي القطب وهذا يعني أنها طبقة تمثل موقفا وسطا وليست طبقة متعالية أرستقراطية هدفها الاستحواذ على كل شيء إلا أن عالم الاجتماع كارل مانهايم له رأى آخر فهو يرى أن المثقفين لا يتمون بالضرورة إلى الطبقات ولايجوز تحديدهم في طبقة ما:

---

[1] علي محمود مصطفى مرتضى: المثقف والسلطة دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر ط1، 1998 ص 35-36.

*عالم اجتماع انجليزي له مساهمات كثيرة في النظرية الاجتماعية المعاصرة.

[2] المصدر نفسه، ص 46.

"يؤكد كارل مانهايم أن المثقفين في العالم الحديث لا ينتمون نسبيا إلى الطبقات بسبب أنهم يتم تجنيدهم من جانب طبقات اجتماعية مختلفة وبسبب أنهم يتلقون تعليمهم في وسط يشجعهم على أن يروا المشكلات الاجتماعية والسياسية من وجهات نظر عديدة فإن أفكارهم كما يرى بذلك مانهايم، لا تحده من منطلق طبقي كما هو الحال بالنسبة للعمال والملتزمين، أن عد الانتماء الطبقي النسبي فيما يتعلق بالمثقفين قد يمكنهم من أن يصلوا إلى مجموعة من الحلول السلمية من الناحية العملية للمسائل الاجتماعية الملحة و هي الحلول التي تعبر عن وجهة نظر طبقية خاصة ونتيجة لهذه الخصائص يكون في وسع المثقفين أن تتحقق لديهم نظرة مكتملة وموضوعية لمجتمعهم وخاصة عن مختلف جماعات الصالح التي توجد فيه، كما أنهم يستطيعون التحرك في استقلال لتحقيق مزيد من المصالح الاجتماعية العامة، وفي نفس السياق يشير الباحث السوري الدكتور برهان غليون إلى أن قوة الانتلجنسيا نابعة من أنها ليست فئة مستقلة عن الطبقات والأحزاب، والمصالح المتعددة المتعارضة التي تقسم المجمع وليست مقطوعة الصلات فيما بينها "النخبة المثقفة" في الوقت نفسه أنها تجسيد لمفصل من مفاصل المجتمع، أو هي الهيئة الاجتماعية بمكانة الغضروف في الأجسام الذي يمثل مكانة متميزة بين العظم و اللحم ويعطي للجسم خواصه في المرونة، التي تعني هنا سرعة الحركة والانتقال والتغيير في المجتمع وتشكل هذه المفاصل نوعا من البرانخ التي تكون ملتقى التناقضات والتركيبات المتباينة وتسمح للمجتمع بالتفاعل والتجاوز العضوي لهذه التناقضات أنها الميدان الذي يتيح لجميع المصالح أن تكون مفكرة و أن تتصارع وتتجاوز في الوقت نفسه وأن تلتقي ليتألف منها الموقف الجمعي العام فهي لابد أن تكون مرتبطة بالمصالح المتميزة الخاصة والطبقية من جهة ومستقلة عنها في الوقت نفسه نتيجة لما يشكله الشأن العام عندها من هم أساسي، فلو كانت طبقة مستقلة لأصبحت مجموعة مصالح مثلها مثل المجموعات الأخرى، ولفقد المجتمع ميدان انعكاس جميع المصالح الجزئية في منظور الكل وفقه الإدارة التي تسمح بتداول الأفكار والقيم الضرورية لتوحيد هذه المصالح في الوقت نفسه، ولو كانت غير ذات استقلالية فكرية عن هذه الطبقات ... ويؤكد غليون أن دور الانتلجنسيا يزداد في المجتمع بقدر

ما تكون المصالح الطبقية ضعيفة التبلور سياسيا والمثقفون هم الذين يقومون في هذه الحالة بالجزء الأكبر من العمل التنظيمي السياسي وهم الذين يقومون بإنشاء الأحزاب ويخططون للتغيير".[1]

وهناك من يرى أن طبقة المثقفين لا يمكن فصلها عن المجتمع بأي حال من الأحوال وهو الباحث في علم الاجتماع عليهم بركات أن يقول: "إن المثقفين لا يمكن اعتبارهم جماعة أو فئة أو طبقة قائمة بذاتها بسبب أن الثقافة التي حصلوا عليها ويعملون على إبداعها، وتفسيرها ونشرها تمنحهم مكانة خاصة متميزة ماديا ومعنويا فيحتلون موقفا وسطا في البنية الطبقية الهرمية ويرتبطون بقوة متصارعة وهم أكثر ميلا للارتباط بالطبقات الحاكمة والقوى النافذة في المجتمع".[2]

وبعد هذا العرض الطبيعة الطبقية والعلائقية والوظيفية للمثقفين أرى أنه من الضروري الآن الغوص أكثر في هذا الموضوع وا يضاح التصنيف الغرامشي لنوع المثقف وأي موقع سيتخذه المثقف بعد هذا الكرنفال الابستمولوجي وقطائعه التاريخية.

[1] المصدر نفسه ص 44-45.

[2] المصدر نفسه ص 45.

المبحث الثاني: التصنيف الغرامشي لنوع المثقف:

تمهيد:

إن أفكار غرامشي حول المثقفين تعتبر المساهمة الوحيدة التي يعترف بها الجميع من اليمين إلى اليسار ودون استثناء فالكفاءة التحليلية التي وظفها غرامشي في تحليله لهذا الميدان تجعله المفكر السيسيولوجي الوحيد الذي استطاع الغوص إلى كل هذا البعد وينقسم المثقفون عند غرامشي إلى 3 أنواع: "المثقف التقليدي، المثقف العضوي مثقفوا الشمال والجنوب".

المطلب الأول: المثقف التقليدي

نستهل موضوعنا بمقولة عمار بلحسن على لسان محمد علي... ارتبطت إعادة التفكير عند غرامشي بجملة من القضايا النظرية والتطبيقية التي طرحها صراع الطبقات سياسيا وا يديولوجيا ذلك أن دراسة غرامشي للإيديولوجيا لا تنفصل منهجيا عن مشكلة المثقفين ففهمها وتحليلها يستلزم فضلا عن تحليل بنية الطبقات الاجتماعية معرفة بتوزيع المثقفين بشتى أصنافهم، ومعرفة بتكوينهم وروابطهم العضوية المتباينة مع الطبقات الاجتماعية أن اللحظات التي تمر بها الطبقات بشخصيتها التاريخية، متطهرة بذلك من عناصر الوعي الحرفي الاقتصادي للإيديولوجيا الفلسفة، الدين، الحس المشترك، الفلكلور تلك اللحظات تتجوهر مع ممارسة المثقفين لأشكال التبليغ الفكري والتوصيل الإيديولوجي"[1].

إذن هل المثقف التقليدي هو ما يحتاجه المجتمع؟ هل المثقفون التقليديون يمثلون طبقة متصلة تاريخيا أم منفصلة؟.

مثل هذه الأسئلة تجعلنا نحاول أن نعرف ونحدد طبيعة المثقف التقليدي وعلاقته بالمجتمع وغن كان غرامشي لا يضع تعاريف نهائية وواضحة لمفاهيمه وبشكل أخص لا يضع تعريف لمفهومي المثقف العضوي والتقليدي حيث نلاحظ أيضا أنه لا يضع تحديدا واضحا ونهائيا

[1] محمد حيدر عليي إشكالية المثقف مصدر سابق

للمعنى أو مفهوم المثقف التقليدي وحدوده مع العلم أنه يعلق أهمية كبيرة على التمييز بين هذا الأخير والمثقف العضوي.

يقول بيوتي: "لا يحدد غرامشي أبدا تحديدا واضحا ونهائيا لمعنى مفهوم المثقف التقليدي وحدوده يقول: "تبقى النقطة المركزية في المشكلة هي التمييز بين المثقفين بوصفهم زمرة عضوية في كل فئة اجتماعية أساسية وبين المثقفين بوصفهم زمرة تقليدية وهو تمييز تتولد عنه سلسلة كاملة من المشكلات والأبحاث النظرية الممكنة" و يؤكد أيضا أن تكوين المثقفين التقليديين هو المشكلة التاريخية الأكثر إثارة للاهتمام".[1]

يقول غرامشي: "هذه اللحظة التاريخية آتية من البينية الاقتصادية السابقة التي تعبر عن واحد من تطوراتها قد وجدت على الأقل في التاريخ كما دارت عجلته حتى ذلك اليوم، زمر من المثقفين كانوا موجودين قبلها وكانوا يظهرون فضلا عن ذلك بمظهر ممثلي استمرارية تاريخية لم يحدث فيها انقطاع حتى نتيجة عقد التغييرات وأكثرها جذرية في الأشكال الاجتماعية والسياسية".[2]

نستحضر هنا تعليق بيوتي ورده على هذا النص بما مفاده: "هكذا وجدنا البرجوازية التي رأت النور عن طريق المركنتيلية ونمت وترعرعت في مسام المجتمع الإقطاعي تدمر شيئا فشيئا بكيفيات تختلف بحسب الشروط العينية لمختلف الأقطار البنية الإقطاعية وتؤسس تدريجيا نمط الإنتاج الرأسمالي، والحال أن البرجوازية في عملية الهدم والباء، هذه وجدت أمامها علاوة على طبقة الأرستقراطينية، رجال الكهنون الذين يطرحون أنفسهم إيديولوجيا على أنهم في أصلها إلى المسيح بيد أن رجال الكهنون بالرغم من ادعاءاتهم الإيديولوجية بالشمولية ليسوا مستقلين عن الطبقات الاجتماعية فهم المثقفون العضويون الأرستقراطية الأرض.

وقد مارسوا على امتدادات العصر الوسيط، ولصالح تلك الارتقراطية الوظيفية الهيمنية في المجتمع المدني بسيطرتهم على وسائل التربية والبحث والنشر ...

---

[1] المصدر نفسه، ص 38.

[2] المصدر نفسه ص 40.

هكذا كان تعريف رجال الدين لأنفسهم على أنهم مستقلون عن الطبقات الاجتماعية يخفي أصلا طبقيا ... يقول غرامشي، أن واحدة من أهم السمات المميزة لكل فئة تسعى إلى الوصول إلى السلطة هي النضال الذي تفوضه لكي تتمثل وتستوعب "إيديولوجيا" المثقفين التقليديين وهذان التمثل والاستيعاب يتمان بسرعة وفعالية أكبر إذا قامت الفئة المشار إليها بإجراء مزيد من التغيير في صفوف مثقفيها العضويين"[1]

وبهذا نستخلص أن هناك علاقة وطيدة بين المثقفين التقليديين وبين السلطة التي تحاول ضم هؤلاء وظيفيا وا إيديولوجيا ومن الواضح والطبيعي حدوث ذلك لهذا؟ لأنهم وحسب غرامشي تركيبتهم الذهنية والطبقية والاجتماعية تؤهلهم لأن يخطو في خطى السلطة فهو لم يجعل المثقفين العضويين* يقومون بهذا الدور لأنهم مختلفون من حيث التركيب الذهني والوظيفي والعلائقي، إذن إن مشكلة المثقفين التقليديين تكمن في انحلال ذهنيتهم التاريخية.

يقول عمار بلحسن: "هؤلاء المثقفون الذين يقدمون أنفسهم ويصورون ندواتهم على أنهم مستقلون عن الطبقات الاجتماعية و يؤكدون في خطاباتهم وتصوراتهم على كونهم "استمرارية تاريخية" لعصور الفلسفة الذهبية ورجالها كسقراط وأفلاطون، وتواصلا خالدا ودانها للسيد المسيح والنبي صلى الله عليه و سلم ... فوق التاريخ وقوانين التطور الاجتماعي هؤلاء يسميهم غرامشي: "مثقفين تقليديين" ولكن ما هي المعايير المحددة لهم؟ وما هي خصائصهم الطبيعية؟"[2]

انطلاقا من عمليات تكوينهم ونشأتهم عبر التاريخ والطبقات الاجتماعية التي ولدوا فيها وطبيعة الروابط التي شدتهم إليها، والأزمات التي شهدتها الكتلة التاريخية لمجتمعهم.

---

[1] المصدر نفسه ص 40-41.

*سنتحدث عنهم تاليا.

[2] المصدر نفسه ص 43.

خصائص المثقفين التقليديين:

1.الخاصية الأولى:

هي أنهم كانوا مثقفين عضويين لطبقات اجتماعية سابقة سادت في زمن معين وداخل نمط إنتاج معين، فذهبت ريحها وأنجلت أنظمتها وظلوا شاهدين على مجدها وتراثها الثقافي والروحي واحتفظوا باستمراريتهم التاريخية.

2.الخاصة الثانية:

تؤكد في ما معناه أن المثقفين التقليديين يرتبطون داخل المجتمع الراهن بطبقة زائلة أو في طريقها إلى الموت، رغم وجودها فهي لا تعتبر طبقة اجتماعية أساسية بل ثانوية فهم ذلك الاجتماعي والثقافي الذي بقي من انفجارات تاريخية سابقة وماضية.

3.الخاصة الثالث:

تعني أن مجموع المثقفين ينتجون إيديولوجيا، تصورهم على أنهم مستقلون وممثلون لعصور تاريخية خالدة لتراث روحي وثقافي وتعطيهم بذلك الوهم الإيديولوجي القائل بعدم ارتباطهم بأي طبقة عن طريق حجبها لأموالهم الاجتماعية.

4.الخاصية الرابعة:

يشير مفهوم المثقف التقليدي إلى موضوع منظور إليه من الزاوية التاريخية والأساس الذي يقوم عليه هو تحليل الميول التاريخية للطبقات الاجتماعية.

5.الخاصية الخامسة:

يصور هؤلاء المثقفون أنفسهم على أنهم مستقلون عن الطبقات الاجتماعية وممثلون لاستمرارية تاريخية وهذه الإيديولوجية تحجب أصلهم الطبقي وتخفيه عن الأنظار تحجب أيضا موقعهم الطبقي الذي يبقى مائلا على الدوام في نشاطاتهم الفكرية.[1]

[1] هالة حسن أحمد جعفر، مفهوم المثقف أنطونيو غرامشي، مجلة كلية الأدب جزء 3/ 2021، ص 19.

من هنا نرى أن طبقة المثقفين التقليديين مهمومة بأمجادها وماضيها ورجالها وطبقتها أكثر من اهتمامها بإعادة تشكيل تصورات العالم أنهم ببساطة عبيد الطبقات الصاعدة والحاكمة.

"يربط غرامشي ربطا معرفيا تاريخيا في مسألة استمرارية هذه الطبقة الغير منقطعة عن الاتصال، حيث إنه يعتبرها كالفلسفة المثالية التي تؤسس فلسفتها على أسبقية الوعي على الكينونة وبالتالي يبقى الوعي متصلا غير منفصل أي أن غرامشي يستخدم هنا مفهوم المثقف التقليدي للإشارة إلى الفلاسفة المثاليين، فهم يطرحون أنفسهم على أساس أنهم مستقلون عن الطبقات الاجتماعية ومثلوا لاستمرارية تاريخية يرجع أصلها لأفلاطون وكروتشيه".[1]

يقول غرامشي: "أن العديد من المثقفين التقليديين صاروا يفكرون أنهم هم أنفسهم الدولة وهذا الاعتقاد كانت له بحكم كبر حجم تلك الزمرة نتائج هامة أحيانا وأوجدت تعقيدات مزعجة في الفئة الاقتصادية الأساسية التي هي فعلا الدولة حين تكون الدولة موجهة من قبل مثقفين تقليديين فإن هذا الميل إلى الاعتقاد بأنهم هم الدولة يتفرز ويقوى بشكل ملوس".[2]

بعد هذا العرض وعلى سبيل الختم يمكننا أن نقول عن المثقف التقليدي أنه يعاني من نرجسية من الوعي تتصور نفسها دائما هي الحاكمة، والمسيطرة والمهيمنة، ولا يليق بها أي دور آخر، فلا تتصور نفسها أنها ليست حاكمة، أولا تتمتع برضا الطبقة الحاكمة.

المطلب الثاني: المثقف العضوي

المثقف العضوي تعبير استخدمه لأول مرة المفكر الإيطالي أنطونيو غرامشي، رأى من خلال تعريفه أن ما يميز المثقف أنه بما يمتلكه من علم ومعرفة فهو يمثل حالة متقدمة من الوعي ضمن المجتمع الذي يعيش فيه، إن وعيه المتقدم على أفراد مجتمعه يحمله باستمرار مسؤولية وظيفية لهذا يتبادر على ذهننا سؤال مفاده عل المثقف العضوي عن غرامشي يتجاوز وظائف المثقف التقليدي السابق الذكر؟

[1] ول ديورانت: قصة الفلسفة ترجمة فتح الله محمد المشعشع، الطبعة الأولى، بيروت 2004م، ص 24.

[2] بيوتي، مصدر سابق ص 59.

لا يمكننا الجزم ولا يمكننا أن نعطي إجابة محددة ما لم نشرح طبيعة المفهوم والأولى بشرحه هو صاحبه يقول غرامشي:

"إن كل فئة اجتماعية، ترى النور في بادئ الأمر على أرضية وظيفة أساسية في عالم الإنتاج الاقتصادي تخلق عضويا في نفس الوقت الذي ترى النور فيه شريحة أو عدة شرائح من المثقفين الذين يزودونها بتجانسها ويوعي وظيفتها الخاصة لا في المضمار الاقتصادي فحسب وا ٍنما في المضمار السياسي والاجتماعي"[1].

من خلال هذا الاقتباس الوجيز يظهر لنا أن هناك اختلاف بين هذا الأخير والمثقف التقليدي هذا؟: "لأننا سوف نتكلم عن وظائف لم نألفها ولم نجدها في مفاهيم المثقف التقليدي، كالوعي النقدي وانتشار وعي متجانس للطبقات السائدة، إلى جانب وظيفة الإصلاح الأخلاقي والثقافي لوجدان الشعوب، وهذا يعني أن المثقف العضوي ليس متعاليا عن الثقافة الشعبية، وتصوراتها الإيديولوجية وبالتالي هو يتحرك في فضاء تاريخي، على عكس ما رأيناه مع المثقف التقليدي، إلى جانب أن المثقف العضوي مهموم بتأسيس خطاب نقدي يقود إلى ممارسة ثورية براكسيسية المعنى أنه ليس مثقفا نرجسيا".[2]

أو بصيغة أخرى، هو عدوه اللذوذ هذا؟ لأنه وببساطة قد كشف الستار عن ما كان مخفي، فكشف الزيف الذي كان ينشره وتملقه للطبقات الحاكمة كما ذكرنا سابقا، أضف إلى هذا أن المثقف العضوي كان يهدف إلى تفعيل الوعي النقدي في السياسة والهدف هنا بناء مجتمع مدني سوي وأن يفعل ذلك المجتمع حضوره، وهذا ما يأكده الكاتب الإيطالي أنطونيتا ماكيوكشين:

"المثقف العضوي هو المثقف الذي تكون علاقته مع الطبقة الثورية ينبوع تفكير مشترك فليس هو ذلك النرجسي الفرداني المحلق على أجنحة الفكر الحر، والذي يقيم علاقة مضببه أو

[1] حيدر علي محمد، مرجع سبق ذكره، ص 159.

[2] المرجع نفسه

سرية مع الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها، أن العلاقة العضوية هي قبل كل شيء وعكس ما سبق علاقة معترف بها، معلقة منظرة، ومراده سياسيا من أجل الدفاع بطريقة جيدة عن"التصور الجديد للعالم" الذي تحمله تلك الطبقة الثورية الصاعدة".[1] في حين أن المثقف التقليدي كان ضد هذه الفكرة.

"المثقف المزيف (التقليدي)* هو الذي يقدم خدماته المدفوعة الأجر لحصتي المثقفين الحقيقيين وذلك لتكريس الأمر الواقع ولإبطاء عجلة التاريخ أو لحرفها عن مسارها الصحيح، وفي النظام العربي المتداعي في استبداده وفي إدعائه الديمقراطي تصبح العملية الدعائية و الخبرة التقنية هما المطلوبتان من المثقفين فهم إما بواق للسلطة (كالمثقف التقليدي)وا ٍما مجرد خبراء فلما يؤخذ بنصائحهم إذ أن القائمة وتحرير المتشكل من السياسات القائمة فهو ممنوع غالبا أو مطلوب بقدر لإكمال الديكور ومن يحاول تجاوز دوره المرسوم بعناية فإن عجلة النظام السياسي تهرسه بلا هوادة وتجعله عبرة لغيره ممن تسول لهم أنفسهم إطلاق العنان لأفكارهم المتجاوزة ولذا يتكاثر الخونة بين المثقفين، أما اضطرارا أو اختيار ويعمم سارتر خيانة المثقف بقوله:

(إن الطابع العام للمثقف المعاصر هو المثقف المزيف والمثقف المزيف هو قبل كل شيء مثقف مباع، وذلك لأن المنظومة الاجتماعية المتحجرة والمنظومة السياسية الجائرة اخفت صوت المثقف الحقيقي فطفا على سطح زيف الثقافة المباعة و البترودولار، في هذا المدار تتحكم الأقدار".[2]

إن الهدف من هذا النص هو تبيان إلى أي حد ممكن أن تتجلي صور المثقف التقليدي وتتفاعل مع مؤسسات الدولة التي مبتغاها الوحيد هو إدخال فكرة الدولة القمعية في الأذهان

---

[1] المرجع نفسه

* لدى سارت: بعد دراسة لغرامشي قام بتحويل المفاهيم العضوي والتقليدي إلى حقيقي ومزيف.

[2] سليمان الطراونة، المثقف والسلطة مجلة أفكار، العدد 125، سنة 1996 ص 50.

فهناك الكثير من المثقفين الذين باعوا أقلامهم بأبخس الأثمان للسلطة وأيضا هنالك الكثير من المثقفين الذين دافعوا عن الجلاد على حساب الضحية من أجل حفنة من المال.

يقول غرامشي: "إن تصدر طبقة من الطبقات للعالم هو بطبيعة الحال إذن مزج ملفق مما ينبع مباشرة من وظيفتها من الداخل لبنية معينة ومما يمنع أي ممارسة ماضية ما عادت تتطابق والوضع الراهن ... إن وظيفة المثقف هي أن يحقق التجانس لتصور العالم الذي يخص الطبقة التي يرتبط بها عضويا، إيجابا بأن يجعل ذلك التصور يطابق الوظيفة الموضوعية لتلك الطبقة في وضع تاريخي محدد أو سلبا بأن يجعله مستقلا بذاته مطهرا إياه من كل ما هو أجنبي عنه، ليس المثقف إذن انعكاس الطبقة الاجتماعية إنما يلعب دورا إيجابيا في تحقيق المزيد من التجانس لتصور الطبقة الذي هو بطبيعة الحال مزيج ملفق".[1]

من أهم النقاط التي يعتبرها مركز المثقف العضوي هي تحقيق التجانس في نظام المجتمع، حيث يعتبرها مركز المثقف العضوي هي تحقيق التجانس في نظام المجتمع، حيث يعتبر ها غرامشي وكما توضح لنا الفيصل بين المثقف التقليدي والعضوي فبالنسبة له تكمن وظيفة المثقف في إيجاد حالة من تجانس التصور والوعي.

ولا كن كيف تتم عملية التجانس التي أولى لها غرامشي هذا الاهتمام؟

"يمارس المثقف وظيفة تحقيق التجانس على مستويين:

على مستوى المعرفة وعلى مستوى النشر، لنأخذ مثالا مثقفي البروليتاريا فواجبهم من جهة أولى وعن طريق تحليل البنية الاجتماعية أو تحليل الممارسة السياسية المستقلة للبروليتاريا (في فترات التأزم، حين تبادر البروليتاريا إلى العمل عضويا بمقتضى مصالحها، وضد البرجوازية" أن يستنبطوا و ينشؤوا تصور العالم المتضمن في مثل تلك الممارسة المستقلة أو المتطلب من المهام أن يفسروا هذا وكيف لا يكون ذلك التصور إلا ضمنيا، ولهذا وكيف لا يتطابق مع تصور البروليتاريا الصريح والمركب من عناصر متباينة.

[1] بيوتي مصدر سابق ذكره ص 21-22.

وواجب المثقفون من جهة ثانية، أن يوجدوا ذلك التجانس في الو عي الطبقي بنشرهم تصور العالم الخاص بتلك الطبقة وبنقدهم الإيديولوجيات التي تشوه ذلك الوعي".[1]

يتبين لنا من هذا المقطع أن هناك ثلاثة مفاهيم ركز عليها غرامشي هي المعرفة، النشر، الإيديولوجيا فلدى غرامشي هذه هي البنى الفوقية، وعندما نقول أنها بنى فوقية فهي مستقلة عن البنى التحتية، هنا يتجلى لنا موقف المثقف العضوي بين هادين البنيتين التي تتشكل فيما بعد أسس المجتمع المدني!.

"فالوظيفة الأساسية لكل مثقف عضوي داخل البنية الاجتماعية هي كونه "اسمنتا" يربط البنية التحتية بالبنية الفوقية، ويكون بذلك (الكتلة التاريخية)، فهو وزملاؤه طبعا يقومون بخلق وتوزيع ونشر الإيديولوجيا من جهة، وضمان انسجامية وعي الطبقة التي يرتبط بها عضويا من جهة أخرى، وتجانس تصور العالم الخاص بتلك الطبقة عملية تتم على مستويين، المستوى الأول هو تنظير الممارسة السياسية للطبقة الاجتماعية وا ٍنتاج معرفة بدور ها ووظيفتها (يقصد هنا عمليات المجتمع المدني) القيام بعمل ثقافي يهدف لتأسيس تصور العالم المتضمن في الممارسات السياسية ويتطلب هذا الانطلاق من الحس السليم النواة العقلانية في الحس المشترك للطبقة وتكوين فلسفة ورؤية للعالم، وانطلاق أعضاء الطبقة لوعي وحدة ومصالحهم ومصائرهم واستقلالية حركاتهم، ووحدة مهامهم التاريخية التي يفرزها وضعهم داخل علاقات الإنتاج وكشف إمكانية قدرتهم على تكوين طبقة اجتماعية لها شخصيتها التاريخية"[2].

هذا و يقول يسرى مصطفى عن الصراع الغيديولوجي بين الطرفين:

"المثقف عند غرامشي يتحدد انطلاق من أدائه لوظيفة اجتماعية فهو "عضوي" في علاقاته المباشرة بالفئات الاجتماعية التي تسيطر على الاقتصاد وذلك من خلال أدائه لوظيفة اجتماعية، سواء في الحقل الاقتصادي أم على المستويين الاجتماعي والسياسي، ومن ناحية أخرى، يوجد المثقف التقليدي وعلاقته بالفئة المسيطرة غير مباشرة فعضويته تنتمي إلى طبقة

[1] بلحسن عمار، مصدر سبق ذكره ص 25.

[2] المصدر نفسه ص 38.

أخرى رحلت تاريخيا وبمعنى من المعاني فإن المثقف العضوي وهو مثقف مؤسسي و التقليدي على علاقة غير مباشرة بالمؤسسات"[1].

نجد أن المثقف العضوي هو ذلك المثقف الذي يأتي مغاير لكل تصوراتنا ولكل توجهات الجمهور، لا يقبل أن يستغل سذاجة أحد من الجمهور فهو يفرد تخارج السرب ويقوم بما لا يقوم به الجمع وينأى بنفسه عن ملذات العيش في كنف السلاطين والمستبدين وما ينبغي الالتفات إليه أنن مثقف غرامشي العضوي هو مثقف إيديولوجي ينطق باسم جماعته الثورية.

ما نخلص من القول أن مفهوم غرامشي عن "المثقف العضوي" لا يشمل الأدباء والكتاب والعلماء الذين لا ينشغلون بهم الطبقة الذين قيم منها فهؤلاء في عداد "المثقفين التقليديين" لأنهم يكتبون وينظرون للأدب من أجل الأدب، والعلم من أجل العلم بينما تكون وظيفة "المثقف العضوي" عنده هي وظيفة اجتماعية تقتضي "التغيير" لكن أي تغيير، إنه تغيير وفق معتقد وا إيديولوجيا لها مقبولية وتأثير اجتماعي.

المطلب الثالث: مثقفوا الشمال ومثقفوا الجنوب:

لم أرد أن أقسم هذا الجزء إلى شطرين لأنهما يصاب في نفس الإشكال الذي له ارتباطا وثيق بالرقعة الجغرافية، فصنف غرامشي هذا الإشكال من خلال تصنيف الثقافة والمثقفين وذلك تبعا للجهة التي انحدروا منها (الشمال أم الجنوب) بمعنى أن لدى غرامشي كل فئة تميزها ثقافة معينة، فالسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو أن المجتمع بطبيعة الحال يتكون من شرائح مختلفة من الفئات الاجتماعية، فهل تتفق هذه الشرائح في نظرتها الطبقية؟ أم هناك تقارب بين ثقافة فئة معينة مع فئة أخرى؟

حسبما لاحظت فإن غرامشي في تقسيمه انطلق من واقع إيطاليا آنذاك الذي كان مقسما وفقا لهذه الثنائية فكانت له الجرأة الكاملة لمناقشتها بطريقة عالمية خارج مجالها الأصلي وهذا ما شرحه وفصل فيه المدني توفيق:

[1] مصطفى يسرى، غرامشي وقضايا المجتمع المدني ترفواز طرابلسي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيوت لبنان، ط1، 1971.

"إذا انتقلنا من التصنيف الأفقي بين المثقفين التقليديين والمثقفين العضويين الذي اعتمده غرامشي ضمن ارتباطهم بوصفهم في حركة الصراع الطبقي بوظيفتهم المحددة التقنية والتوجيهية في المجتمع من أجل تحقيق هيمنة الطبقة، التي تتطابق مصالحها مع مصالحهم فإن غرامشي ينتقل إلى دراسة واقع المثقف ضمن خصوصية الجغرافيا والحصول الطبقية والعلاقة بين المدنية والريف والشمال والجنوب التي تتميز بها خصوصا إيطاليا كأساس ثابت لتصنيف المثقفين حيث أن دراسة وضع المثقف في تطور غرامشي هي دراسة تاريخ المثقف الإيطالي في علاقته بنشوء وتطور الرأسمالية الإيطالية ... إن قانون التطورات متكافئ الذي حكم تطور الرأسمالية في إيطاليا أبرز اختلافا بنيويا في سياق تطورها بين الشمال الصناعي الرأسمالي المتطور وبين الجنوب الفلاحي المتأخر تاريخيا، وينعكس في الوقت عينه على وجود فئتين من المثقفين، فالمثقف المدني المنحدر من الشمال جاء من بيئة اجتماعية اقتصادية متطورة صناعية، وبالتالي ترعرع في الصناعة وارتبط بمصائرها وأصبح يمثل نموذج المثقف العصري الذي يتمثل في نمط تقني المصنع الذي يربط بين الجماهير العمالية والطبقة الرأسمالية فالمثقف المدني مرتبط بعملية الإنتاج الرأسمالي ... أما المثقفون الريفيون ومثقفون المحافظات فإنهم عادة ما يكونوا موظفو الدولة، وأعضاء المهن الحرة باعتبارهم حلم كل مثقف ريفي إيطالي".[1]

لقول غرامشي:

"إن المثقفين من النمط الريفي هم إلى حد كبير "تقليديون" أي مرتبطون بالكتلة الاجتماعية الفلاحية والبرجوازية الصغيرة في المدن وعلى الأخص في مراكز المناجم التي لم يجر بعد تحويلها وتحريكها من قبل النظام الرأسمالي".[2]

يتضح لنا هنا أن غرامشي ومن خلال علامة قد ساوى بين تقليدية المثقف وريفية موقعة الذي يشغله فيعتقد أن الريف هو المنبع الذي يخرج منه المثقف التقليدي إذن وبعد هذا التمييز نستنتج أن الريف الجنوبي مصدر المثقفين التقليديين المرتبطين بالفلاحة من جهة والبرجوازية

[1] المرجع السابق ،حيدر علي ، إشكالية المثقف ،ص 175

[2] المصدر نفسه، ص 176.

الصغيرة من التجار في المدن، وجزء من المثقفين المهنيين الذين يؤدون مهاما خاصة بالدولة من الموظفين الذين يحصلون على مستوى معيشي أفضل من مستوى الفلاحين وينتقل جرامشي من هذه النقطة إل خضوع مثقفي الجنوب لمثقفي الشمال العضويين في المدن الصناعية ذات البيئة الرأسمالية الواضحة وهي الظروف التي قد عايشها في نشئته في سردينيا، هذا ما يأكده لنا بيوتي قائلا:

"يربط غرامشي التمييز بين المثقف التقليدي والمثقف العضوي بدراسة المشكلة التي يطرحها على توحيد البلاد من الانقسام بين الجنوب والشمال فالجنوب هو منطقة زراعية أساس ينتج مثقفين تقليديين بينما ينتج الشمال وهو منطقة صناعية مثقفي البرجوازية العضويين، و للاستيلاء على مقاليد الدولة ولضمان التوحيد الاقتصادي والسياسي والثقافي للبلاد يستوجب على بروليتاريا الشمال أن تتمثل قبل ذلك أو أن تربط بها مثقفي الجنوب التقليديين"[1]

لا يوجد أحسن من استحضار هذه المسألة على فهم صاحبها فقد تحدث غرامشي واختصر هذا الموضوع في نص له حيث يقول في كتابه، قضايا المادية التاريخية "نش مثقفو المدن مع نشوء الصناعة ونمو بنموها وارتبط مصيرهم بمصيرها ويمكن مقارنة وظيفتهم بوظيفة ضابط الصف في الجيش، فهم لا يملكون زمام المبادرة لوضع الخطط الإنشائية، لكنهم يشكلون صلة الوصل الفاعلة بين العمال ومدير المصنع الذين ينقدون خطة الإنتاج التي وصفها "القيادة العامة" للقطاع الصناعي، ومثقفوا المدن هم بشكل عام فئة منمطة تتصل المرتبة العليا منهم بالقيادة العامة للقطاع الصناعي وتندمج بها".

ويضيف غرامشي حول مثقفوا الريف.

"أما مثقفوا الريف هم في معظمهم مثقفون "تقليديون" أي أنهم مرتبطون بالجماهير الفلاحية وبرجوازية المدن الصغيرة التي لم يؤثر فيها النظام الرأسمالي ولا أطلق مبادرتها يتولى هذا النمط من المثقفين الوساطة بين الجماهير من جهة وبين الإدارة المحلية أو المركزية من جهة أخرى

[1] المرجع نفسه ص 176-177

فيمارسون بالتالي وظيفة سياسية اجتماعية هامة لأنه يصعب الفصل بين الوساطة المهنية والوساطة السياسية، وبالإضافة لذلك يتمتع مثقف الريف بمستوى معيشة متوسط يعلو على مستوى معيشة الفلاح المتوسط أو يختلف عنه، على الأقل وبذلك يمثل هذا المثقف في نظر الفلاح نموذجا اجتماعيا يتطلع إليه في سعيه للخروج من وضعه أو لتحسين حالته، لذا فهو يحلم دائما أن يصنع من واحد من أبنائه على الأقل مثقفا أي أن يجعل منه فيرفع بذلك من مركز أسرته الاجتماعي فتتيسر أمورها الاقتصادية عن طريق الصلات التي لا بد له أن يقيمها مع غيره من (الخواجات) وموقف الفلاح من المثقف موقف ذو وجهين وقد يبدو متناقضا فهو يعجب بالمركز الاجتماعي الذي يحتله المثقف والموظف بشكل عام، لكنه يتظاهر أحيانا بأنه يحتقر هذا المركز: بمعنى أن إعجابه مشوب غريزيا بعناصر الحسد والكراهية الشديدة، وأن الذي لا يأخذ بعين الاعتبار هذه التبعية الفعلية للفلاح تجاه المثقف ولا يدرسها على نحو عيني أو يتعمق بها لن يفهم شيئا من حياة الفلاحين الجماعية، ذلك أن كل تطور عضوي للجماهير الفلاحية يرتبط إلى حد ما، بحركات المثقفين ويعتمد عليها.

يختلف الأمر بالنسبة المثقف المدن، فالفنيون في المصانع لا يمارسون أية وظيفة سياسية تجاه الجماهير العاملة أو أن مرحلة التي كانوا يمارسون فيها مثل هذه الوظيفة انقضت، وقد يحصل العكس أحيانا أن نمارس الجماهير العاملة تأثيرا سياسيا على الفنيين عن طريق مثقفيها العضويين.

غير أن محور المسألة يبقى التمايز بين المثقفين بوصفهم جماعة عضوية مرتبطة بطبقة اجتماعية أساسية وبين المثقفين بوصفهم جماعة تقليدية، وهذا التمايز يفسح المجال أمام سلسلة كاملة من المشكلات والأبحاث النظرية الممكنة".[1]

ميز هنا غرامشي بين ثقافتنا ثقافة الجنوب وترسباتها السلبية إزاء مجتمعها التي تنتج ثقافة تقليدية شعبية غير عضوية، وثقافة الشمالي التي هي نخبوية عضوية فعالة مهيمنة، إذن

[1] غرامشي، قضايا المادية التاريخية مصدر سبق ذكره ص 139.

فالإشكال الذي يود غرامشي معالجته هو هذا التفاوت بين الطبقتين أي هذا توجد ثقافة مسيطرة (ثقافة الشمال) وثقافة خاضعة (ثقافة الجنوب)؟

"يرى جرامشي أن ذلك يتم من خلال الحزب والمجتمع المدني، إن الحزب السياسي بالنسبة لبعض الطبقات الاجتماعية ما هو إلى الوسيلة التي تسمح لهذه الفئات بأن تكون لنفسها جماعة عضوية من المثقفين مباشرة في المجال السياسي والفلسفي، إلى جانب هذا أن الحزب يعتبر بالنسبة لجميع الفئات آلية تمارس في المجتمع المدني الوظيفة ذاتها التي تمارسها الدولة".[1]

وكأنها غرامشي يوجد من الحزب السياسي أن يكون الوسيط الذي يربط بين الطبقتين الآنفتي الذكر لينتهي بنتيجة مفادها بأن الثورة لا بد وأن تأتي من خلال تنظيم الفئة في الجنوب لنفسها في شكل حزب له مثقفوه العضويون، و أيدولوجيته الواضحة المعادية لأيدولوجية الطبقة المسيطرة وربط تلك الحزب في الجنوب بالحراك العمالي في الشمال.

أي أن:

1.مثقفي الشمال:

"المثقف المنحدر من الشمال جاء من بيئة اجتماعية اقتصادية متطورة صناعية وبالتالي ترعرع في الصناعة وارتبط بها وبمصائر ها وأصبح يمثل نموذج المثقف العصري الذي يربط بين الجماهير العمالية والطبقة الرأسمالية فالمثقف المدني مرتبطا بعملية الإنتاج الرأسمالي، حيث أن برجوازية المدن الكبرى تنتج المثقفين للصناعة الرأسمالية فلا يرى في الدولة كيانا متعاليا ومحايدا، بل يراها كعلاقة فاعلة معا لذلك يكون المثقفون المدنيون عضويين".

[1] هالة حسن، أحمد جعفر مفهوم المثقف عند انطونيو غرامشي مرجع سبق ذكره ص 425.

2.مثقفي الجنوب:

فهم عادة ما يكونوا موظفي الدولة، و أعضاء المهن الحرة باعتبارها حلم كل مثقف ريفي إيطالي حيث أنه يعمل لإخضاع الجماهير الفلاحية لسلطة الدولة، وفضلا عن ذلك فإن المثقفين الريفيين الذي يصفون في صلبهم القسم الأعظم من رجال الدين تقليديون أي مرتبطون بالجماهير الاجتماعية الريفية والبرجوازية الصغيرة في المدن التي لم تتطور بعد إن كل طبقة تاريخية جديدة لا بد لها من تعزيز مثقفيها العضويين الجدد الذين يقومون بدورهم تخلق ثقافة جديدة لها"[1].

على سبيل الختم نستنتج أن غرامشي أولى أهمية خاصة لتفاوت النمو بين شطري إيطاليا: شمال مصنع وجنوب زراعي، فرأى أنه لا بد من أن تكون هنالك تنمية مناطقية متوازية وحل المسألة الفلاحية ورأى إلى أن التفاوت يستوجب التحالف بين الطبقة العاملة الصناعية الشمالية والفلاحين والوسطى والمثقفين الجنوبيين بما هو الشرط الحيوي لقيام قوة تغيير قادرة على تجاوز الرأسمالية.

[1] المرجع نفسه ص 413.

المبحث الثالث: الهيمنة الثقافية والمجتمع المدني لدى غرامشي:

ها نحن الآن نصل إلى الجزء الأخير والمبحث الأخير من الفصل الثاني المعنون بـ "الهيمنة الثقافية والمجتمع المدني ليرى غرامشي" فهو لا يقل أهمية عما سبق، سنبدأ أولا بتنطيق المفاهيم ثم نفوض في الأحداث والمعاني، ونستهل مشوارنا بـ:

المطلب الأول : الإطار النظري لمفهوم المجتمع المدني:

ما هو المجتمع المدني الغرامشي؟ أو ماذا يعني غرامشي بعبارة المجتمع المدني؟ ما هي مكوناته وعناصره؟

في المعنى اللغوي و الاصطلاحي:

سنحاول الآن أن نقف على الجذر اللغوي لمفهوم المجتمع المدني، يقول محمد يحي حسني: "يرى ابن منظور أن المجتمع مشتق من الجمع وهو كالمنع أي تأليف المتفرق، وجماع الناس أخلاطهم من قبائل شتى وهو بذلك يتعارض ومنطق التجمعات الصغيرة في الفضاء البدوي المعلوفة بالمضارب التي ترتبط باسم عائلة ممتدة أو عشيرة، فمجتمع الناس أصله كل ما تجمع و انضم بعضه إلى بعض، ونفس المنظور يكرسه أيضا صاحب القاموس المحيط، فجماع الناس أخلاطهم وقيل صم الضروب المتفرقون بين الناس ... ويتعمق الفصم اللغوي في الشق الثاني لتكوينيته "المدن" الذي هو حسب ابن منظور مرتبط بالحضر الذي هو خلاف البداوة "فمدن منمدن بالمكان أي أقام به ومنه المدينة التي هي جمع مدن ومدن وهي الحصن يبنى في أصطحة الأرض".[1]

يتضح لن أن المفهوم المركب أخذ من دلالات تتعلق بطبيعة البيئة وطبيعة المعاش وأسلوبـالعيش باعتباره نمطا حضاريا فقد تم تحديده بالتعارض مع البداوة وا ٍذا قلنا البداوة فإننا نستحضر هنا المثقف التقليدي على عكس حداثة المجتمع المدني الذي له علاقة مباشرة بالدولة كيف ذلك؟.

[1] مرجع سابق ،حيدر علي ، إشكالية المثقف ، ص 224

"تتميز العلاقة بين الدولة (أو المجتمع السياسي)، والمجتمع المدني بخصوصية بالغة في البلدان العربية، ترجع إلى الوظائف المميزة للدولة وامتدادها التاريخي وا ٍلى حداثة تكون المجتمع (التاريخي المدني من جهة أخرى.

إن مفهوم الدولة واضح بذاته، ولا يحتاج الكثير من الضافة فإنه مفهوم يقتصر على التشكيلة الرأسمالية ونحن نستخدمه بالمعنى الهيفلي عموما وهو المعنى الذي كان يستخدمه ماركس في شبابه والذي أعاد غرامشي استخدامه إن صورة المجتمع المدني المعاصر هي صورة المؤسسات الحديثة وصورة الإنتاج الواسع ... وهو على عكس صورة "المجتمع التقليدي" التي أطرها أحد المستشرقين بقوله: بالله ما أروع حياتهم لا شرطة لا نقابات لا مصارف، لا أحزاب (نسي أن يضيف بالله ما أنفس حياتهم لا صحة، لا تعليم، لا ضمانة للحياة أمام عذر الطبيعة من جفاف وفيضانات وأوبئة أمام عبودية الخرافة، وسيف الحاكم الذي لا يرد".[1]

ويعكس المجتمع المدني، فإن المجتمع السياسي ميدان الإرغام وممارسة القوة التي يمكن أن تكون عسكرية أو قانونية إدارية فتصور غرامشي للمجتمع المدني هو ذلك المجتمع الذي تنشأ فيه وتدور بين الأفراد والجماعات الصراعات والخلافات ذات الطابع الإيديولوجي فهو يضم جميع العلاقات الاجتماعية والمنظمات التي تشارك في الإنتاج الاقتصادي ولا في أشغال الدولة، أي بمعزل هذا الطبقة السياسية ويضيف الدكتور الحبيب الجنحاني مواصفات أكثر دقة عن المجتمع المدني:

"إنه مجتمع مستقل إلى حد يعد عن إشراف الدولة المباشر فهو يتميز بالاستقلالية، والتنظيم التلقائي و روح المبادرة الفردية والجماعية، والعمل التطوعي والممارسة من أجل خدمة المصلحة العامة، وللدفاع عن حقوق الفئات الضعيفة، ويخطئ البعض حين يذهب إلى أن المجتمع المدني هو مجتمع الفردانية* بل بالعكس أنه مجتمع التضامن عبر شبكة واسعة من التنظيم المهني والجمعياتي، وهو مجتمع التسامح، والحوار والاعتراف بالآخر، واحترام الرأي

[1] فالح عبد الجبار فرضيات حول الاشتراكية، مركز البحث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي ط1، ص 73-74 تشيكوسلوفاكيا 1990.

المخالف، والعلاقات في المجتمع المدني أفقية وليست رأسية، أو عمودية مثل العلاقة بين الأجير والمؤجر أو بين السلطة والمواطن أو بين الكهنوت الديني و الأتباع وهو بالتالي مجتمع الإبداع في أرحب معانيه، فلا ضرر أن نؤكد هنا أن المجتمع المدني هو الضمان لمسيرة التقدم الحقيقي والدائم فقد حققت فعلا بعض المجتمعات "الشمولية" تقدما اقتصاديا في ظروف تاريخية معينة ولكنه سرعان ما تبين أنه لم يكن تقدما حقيقيا بل كان همزة اقتصادية ساعدت عليها ظروف سياسية معينة، ولما تغيرت الظروف انكشفت الحقيقة المرة".[1]

أشار الباحث حيث علي محمد أنه تتبع النشأة التاريخية لتشكل مفهوم المجتمع المدني أنه كان يمثل النقيض تماما للمجتمع اللاهوتي (الديني) الأرثوذكسي إذ يقول في رسالته:

"... وبشكل أنص منذ أن أعلن الفكر الأنساني في الفكر العربي القطيعة الابستمولوجية والتاريخية مع الآرت الأسكولاتي (المدرسي) الذي كان يسيطر على رقاب الذات، وأشار الباحث السوري جاد الكريم الجباعي إلى هذه الحقيقة بتشخيص نقدي: "المجتمع المدني يعني في الاصطلاح الحديث: المجتمع الغير ديني "أي المتحرر من سلطنة الكنيسة ورجال الدين الأكليريوس الذي يتم فيه تنظيم الحياة الاجتماعية على أسس موضو عية، دنيوية، وعقلانية تتجسد في التشريعات والقوانين الوضعية التي على أساسها يقوم تنظيم الأسرة وعلاقات الإنتاج والتوزيع والتبادل في الوضعية العربية وهي أكثر تعقيدا مما كانت عليه الشعوب والأمم الغربية إبان عصر النهضة، يعني مفهوم المجتمع المدني، المجتمع الأدبي أولا وغير العسكري ثانيا، وغير التقليدي أي الحديث ثالثا، أن تتدخل وتشابك مدلولات هذا المفهوم، وبالتالي تشابك وتداخل وتعقيد المهمات التي ينبغي انجازها في الوطن العربي، ويشير إلى حالة التأخر التاريخي للشعب العربي الذي يعيش على هامش العصر الحديث بمثابة مفارقة تاريخية".[2]

*الاستقلالية المطلقة وهي عكس الكلية.

[1] حبيب الجنحاني، المجتمع المدني وأبعاده الفكرية، دار الفكر دمشق سوريا، ط1، 2003.

[2] حيدر علي محمد، إشكالية المثقف عنه غرامشي مرجع سبق ذكره، ص 224.

يتضح مما سبق أن هناك صراع صامت بين نظامين نظام المجتمع الأصلي (القديم) ونظام المجتمع المدني (الحديث) ومدى تأثر طابع الدول العربية في الحكم لأنها لا تزال متأثرة بنظام المجتمع الأصلي إذ يسودها نظام قديم موروث.

ومن هنا نستنتج أيضا أن هناك علاقة واضحة متداخلة بين المجتمع السياسي، والمجتمع المدني، والدولة فمفهوم الدولة هنا يخدم في كشف وجود علاقات سياسية للسلطة داخل المجتمع المدني كما أن هذا المفهوم يرفض فرضية الحياد السياسي للمجتمع المدني ومن هنا نؤكد أن مفهوم المجتمع المدني لا يمكن أن ينشأ أو يوجد دون أحداث قطيعة ابستملوجية مع البنية التقليدية بكل أشكالها وصورها ومع الحكم اللاهوتي الديني و الأنظمة السياسية ومع الدولة المتسلطة خصوصا، يقول غرامشي "نظرا إلى أن الدولة في الشرق هي كل شيء فقد كان المجتمع المدني وحتى في دولة متداعية، كنا نشهد بنيانا قويا للمجتمع المدني لم تكن الدولة سوى خندق متقدم تكمن خلفه سلسلة من الحصون و المعاقل ".[1]

الإطار النظري لمفهوم المجتمع المدني:

"ما هو الإطار النظري لمثل هذا التطلع المعاصر نحو المجتمع المدني والذي يميزه مما سبقه من استخدامات؟ المثقف أن الإطار النظري هو وعي متشكل تاريخيا لمجموعة من التمايزات.

1. التشديد على الفصل بين الدولة والمجتمع أو بين مؤسسات الدولة والمؤسسات المجتمعية كشرط معطى تاريخيا، أو كوعي اجتماعي معطى أو متطور تاريخيا.
2. وعي الفرق بين آليات عمل الدولة وآليات عمل الاقتصاد وهو شرط متطور تاريخيا مع الثورة الصناعية ونشوء البرجوازية.
3. تمييز الفرد مواطنا، أي ككيان حقوقي قائم بذاته في الدولة بغض النظر عن انتماءاته المختلفة.

[1] بيوتي، مصدر سبق ذكره ص 153.

4. التشديد على الفرق بين آليات عمل المؤسسات الاجتماعية وأهدافها ووظائفها من جهة، وآليات عمل الاقتصاد وأهدافه وظائفه من جهة أخرى.
5. رؤية الفرق بين التنظيمات المجتمعية المؤلفة نظريا على الأقل من مواطنين أحرار فألقوا بشكل طوعي وبين البنى الجمعية العضوية التي يولد الإنسان فيها وا ٍليها.
6. التشديد على الرفق بين الديمقراطية التمثيلية عن الدولة الليبرالية والديمقراطية المباشرة، يسميها بعضهم الديمقراطية "وجها لوجه" والمشاركة النشطة في اتخاذ القرار نظريا على الأقل في الجمعيات الطوعية والمؤسسات المجتمعية الحديثة".

مثلما قلنا سابقا فالمجتمع المدني لا يحدث دون قطيعة حتى وا ٍن كانت مع الأحزاب البيروقراطية.

وبالرغم من تعقد المفهوم في بعديه المعرفي والسياسي والاجتماعي فقد حاولنا أن نسلط الضوء ولو بطريقة مختصرة على أهم النقاط التي لها علاقة بالمجتمع المدني الغرامشاوي فقد انتقل هذا المفهوم من التنظير إلى الممارسة والممارسة تذكرنا بالواجهة الفلسفية الجرامشاوية أي البراكسيس الذي يتحرك في واقع من علمنا إياه أنطونيو غرامشي من خلال ثالوت المجتمع المدني: الدولة، المجتمع السياسي والهيمنة.

المطلب الثاني: الإطار النظري لمفهوم الهيمنة الثقافية:

بعد أن تكلمنا عن مفهوم المجتمع المدني لا بد لنا وأن نتكلم عن الهيمنة الثقافية المسايرة له لكن إرتأينا أن نفصلهما عن بعضهما لتحديد أهمية و مكانة كل مفهوم في فلسفة غرامشي فما هي الهيمنة الثقافية أو ماذا يعني غرامشي بعبارة الهيمنة؟

يضيف حيدر محمد علي في رسالته:

"إن فكرة "الهيمنةالتي تعد ركنا أساسيا في فلسفة غرامشي لا يمكن أن تتحقق فعلا وا ٍرادة بدون هذه المعرفة الفلسفية التي تقوم عليها هيمنة "الأمير الحديث"*[1] الراهن بعد أمير ميكافيلي،

*الأمير الحديث الذي يعتبر المثقف الجماعي.

أي هيمنة قيادة الحركة بالعامل المعنوليتي (العامل المونوليتي لغويا هي الصخرة العاتية أما الاستخدام هنا فهو استمارة لمصطلح سياسي).

والهيمنة بمعناها المونوليتي الذي يستخدمه "غرامشي" لا يعني الهيمنة بمعناها الشائع في العصر الحديث بعد عصر الرأسمالية و الامبريالية بل هي هنا في الفكر (الغرامشاوي) تستخدم بمعناها القيادي.

وقد مرت فترة طويلة إلى أن استقر هذا المعنى "الغرامشاوي" الجديد في أذهان وورثه الستالينية يستخدمون مصطلح "الهيمنة، الهيمنوية" بمعنى هذه السيطرة الجديدة بعد الحرب العالمية الثانية، التي يدعوها بعضهم وهي في الحقيقة ظاهرة في العالم الرأسمالي لا تمتلك من خصائص الامبرلياليةأي شيء، ولكنها صور هيمنة لرأسمالية جديدة وبأساليب لم تكن قد استخدمتها الامبريالية من قبل فهي أساليب تجرب لأول مرة في ميدان ما أسمي يومئذ بالعالم الثالث على أي حال أن مصطلح "الهيمنة" بهذا المعنى الغرامشاوي الجديد قد استقر في الستينات في أذهان الكتاب والسياسة والمثقفين وخرج في المصطلح السياسي اليساري عن معناه التقليدي الذي كان شأنها في العالم من قبل.

كان "غرامشي" قد صاغ هذا المصطلح بهذا المعنى الجديد قبل أن يلغى القبض عليه في أواخر العشرينات ويزج في سجنه طويل الأمد، وقد ذهب فيه إلى أن الهيمنة التي يعنيها هي القوة التي تمتلكها أية حركة من الحركات لتوجيهها نحو أهدافها وقد استخدمها في تلك الفترة وهي يعني بها بوجه خاص قيادة الطبقة العاملة أو قدرة قيادتها المتجهة صوب الإطاحة بدولة البرجوازية وا ٍقامة دولة الفلاحين عن أنقاضها.

وكان في أوراق سجنه التي كتبها وفيها مجمل القضايا السياسية التي طرحها بتفصيل فيها يوجه الخطاب إلى الطبقة العاملة في الاتحاد السوفييتي ولقيادة الحزب البلشفي آنذاك وهو يعني جوزيف ستالين بالذات ويدعوا إلى ضرورة إقامة وحدة بين الطبقة العاملة والفلاحين وهي الوحدة التي كان يسميها يومئذ بالتحالف العمالي- الفلاحي من أجل ترسيخ المركز القيادي في الدولة الاشتراكية وترصنها.

وقد كان غرامشي في دعوته إلى مولد الهيمنة الجديدة في قيادة العمال الفلاحين يهدف إلى تصفية الذهنية التي سادت أوربا وأجزاء شاسعة من العالم بعد الحرب العالمية الأولى وعلى طول فترة ما بين الحربين العالميتين ... تلك التهيئة التي نشأت في أجواء أزمة الفترة العصيبة والكساد العظيم في فترة الثلاثينيات والتي قادت فيما بعد إلى اندلاع جحيم الحرب العالمية الثانية وسيادة النمط الاستطلاعي وآثاره البعيدة".[1]

تطرق هنا الكاتب إلى أغلب جوانب الهيمنة عند غرامشي وكيفية صياغة هذا الأخير لمصطلحه فقد وضح كيفية بناء الهيمنة الثقافية في أوساط الطبقات المغلوبة واستنادا إلى غرامشي:

"عليهم أولا أن يعملوا إلى بلورة الأفكار التقدمية، الاشتراكية والبديلة عن أفكار الليبرالية ثم العمل في الأوساط والفجوات الاجتماعية التي لا تسيطر عليها الهيمنة البرجوازية، عليهم القيام بعمل صبور ومثابر، هذا ما يسميه غرامشي عمل "النمل الأبيض" أي العمل الهدام الخفي المؤدي لممارسة التآكل التدريبي لجميع قواعد المجتمع الرأسمالي التقليدي، ويكون الهدف هنا هو هزيمة مثقفي الطبقة المسيطرة مهمة خصصها غرامشي للمثقفين بالمعنى الواسع المرتبطين عضويا بالعمال "المثقف الجماعي"، الحزب "الأمير الحديث"، للقيام بذلك من الضروري اقتحام وسائل الإعلام الجماهيري واجتياح اللغة اليومية، أو السعي لغرض مواضيعهم ومفاهيمهم في

[1] حيدر محمد علي، إشكالية المثقف عند غرامشي، مرجع سبق ذكره ص 197.

النقاش الأكاديمي والشعبي، كما يجب وضع مفاهيم الليبرالية ومفرداتتها موضع النقد والتساؤل لتسفيهها ورفضها ووضع مواضيع ومفاهيم أخرى مكانها".[1]

"مصطلح الهيمنة قد خرج على يد "غرامشي" من ذلك المعنى التقليدي الذي يستخدمه المحافظون والتوريون على حد سواء ويعنون به سطوة البرجوازية وتسلطها واستغلالها بل خرج أيضا عن ذلك المعنى المشتق من ذلك المعنى القديم والذي استخدمه القيادة الصينية منذ (هن بات هن) والتي تعني سطوة بلد على بلد آخر بمعنى الاستغلال القائم على أساليب الابتزاز الاستهلاكي ولكي نفهم الهيمنة بالمعنى الغرامشاوي لابد أن نعلم سلفا أن غرامشي لم يكن يعتقد كما اعتقد ماركس، وو "أنجلز" أن الدولة هي أداة من أدوات الطبقة الحاكمة تستخدمها لتحقيق مصالحها، بل الدولة نسيج عضوي شديد التركيب والتعقيد له أكبر دور في التأثير على المجتمع وا ٍعادة بنائه وصوغه والتأثير في القيم السائدة فيه، وهذا النسيج العضوي الشديد التركيب والتعقيد يسهم فيه المثقف العضوي في "المجتمع المدني"".[2]

من هنا نرى أن غرامشي استطاع النفاذ عن المعنى التقليدي "للهيمنة" من خلال القطع الابستملوجي مع المفاهيم القديمة التي كانت سائدة في عصره والتي هي مرادفة لمعنى "السيطرة أو القوة فهو يحاول قدر الإمكان أن يبتعد عن المفاهيم السلطوية والسياسية و بشكل أخص فيما يتعلق بمفهوم الهيمنة لأن الهيمنة عنده هي حالة من الانسجام والتفاهم التي تتم بين الأفراد في إطار الإجماع والإرادة العامة وليست الأنانية الخاصة.

[1] غرامشي: المجتمع المدني، مجلة الأخبار الإلكترونية، اطلع عليه يوم 16 افريل 2022.

[2] حيدر محمد علي، إشكالية المثقف عند غرامشي مرجع سبق ذكره ص 199.

"يدرك غرامشي الهيمنة بوصفها علاقة مبنية على الإجماع لا على الإكراه لكن الجوهري أيضا أ نستفيد من عمل روسو الفكرة القائلة بأن هناك أنواعا مختلفة من العقد: فالعقد الذي تتأسس عليه الديمقراطية لا تدعمه وبالتالي لا تشرعنه المصالح النقابية الاقتصادية أو العاطفية الأنانية، ولكن بدلا من ذلك يخلق فضاء كافيا للمجال العام المتمحور حول المصلحة "الأخلاقية السياسية" الجماعية الشمولية، علاوة على ذلك فن العقد في داخله في نهاية المطاف فكرة الحكم الذي لا يختلف موقف غرامشي وهو يعرف الشيوعية بوصفها "مجتمعا منتظما"، حيث يقول بأن الجهاز التفسيري الدولة فيه سوف تتمثله بالتدريج آليات المجتمع المدني الرضائية أو التعاقية".[1]

صحيح أن غراشمي وضع القطيعة حتى مع أفكار ماركس السابقة إلا أنها تعتبر أساس نظريته لأن أنطونيو غرامشي طور مفهوم الهيمنة الثقافية على أسس نظرية كارل ماركس بأن الإيديولوجية السائدة في المجتمع تعكس معتقدات ومصالح الطبقة الحاكمة.

وأكد على أن الموافقة على حكم المجموعة المهيمنة أي مجموعة من وجهات النظر والمعتقدات والافتراضات والقيم العالمية من خلال المؤسسات الاجتماعية مثل التعليم و الإعلام والأسرة والدين... وهاته الأخيرة الخاصة بالمجموعة المهيمنة إذا كانت تسيطر على المؤسسات التي تحافظ على النظام الاجتماعي وعندما يعتقد أولئك، الذين تحكمهم المجموعة المهيمنة أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية لمجتمعهم طبيعية ولا مفر منها، بدلا من خلقها من قبل أشخاص لهم مصلحة خاصة في أواصر اجتماعية واقتصادية و سياسية خاصة هنا سوف تتجلى الهيمنة الثقافية.

[1] المرجع نفسه ص 203.

المطلب الثالث: الهيمنة و المجتمع المدني لدى غرامشي:

تطرقنا سابقا إلى محورين ومصطلحين أساسيين في فكر هذا الأجر وعالجناهما عكل على حدة ولاكن الآن وفي نهاية هذا الفصل سنعالجهما معا وذلك لأهميتها في هذه الحالة لنسقية التفكير الغرامشاوي فكيف يمكن لوظيفة الهيمنة أن تتجلى في المجتمع المدني؟

"تتجسد وظيفة الهيمنة في المركزية التي هي نقيض المركزية البيروقراطية فالدولة التي تتمركز ديمقراطيا تأخذ في حسابها حركة القاعدة والعفوية الشعبية، ولا يمكن للمركزية الديمقراطية أن تقوم إلا على أساس القبول الفعال والمباشر من قبل القاعدة ... في المركزية الديمقراطية تكون الشريحة المثقفة القائدة وثيقة العرى بالطبقة التي تمثلها فهي التعبير العضوي عنها أما في المركزية البيروقراطية فهي تأخذ على العكس شأن طائفة مغلقة على ذاتها تنور عن مصالحها الأنانية، ولو كان تلك على حساب مصالح الطبقة الديمقراطية غير ممكنة في البلدان التي لا يوجد فيها (مجتمع مدني) قوي وديناميفي أشباه هذه البلدان ينشأ ويتطور ما يسميه غرامشي "الستاتولاتريت" التي بها يقتصر كيان الدولة".[1]

مثلما تحدثنا في المباحث السابقة فإن القطيعة الابستملوجية نجدها حاضرة بقوة في الفلسفة الغرامشاوية فمفاهيم الدولة والمجتمع المدني والهيمنة و الإيديولوجيا هي أيضا خضعت لمنطق القطع الابستملوجي إذ أعطاها غرامشي تعريفا آخر يتماشى مع فلسفة البراكسيس الخاصة به فحاول قراءتها بمعزل عن خلفياتها التاريخية واستعمالاتها التقليدية أي أنه بشكل أو بآخر فقد تعامل مع الخطاب السياسي المعاصر معاملة ابستملوجية.

وجدت مقالا لهشام البستاني يعيد فيه شرح ما تطرق إليه بيوتي بطريقة مغايرة معنون بـ، هيمنة السلطة من خلال مجتمعين: المجتمع السياسي و المجتمع المدني.

[1] حيدر محمد علي، سبق ذكره، ص 228-229.

"الدولة عند غرامشي هي إطار هيمنة تفريط السلطة فيه من سيادتها من خلال مجتمعين: المجتمع السياسي و تتمثل فيه القوة الإكراهية العنفية المباشرة مثل الجيش، الشرطة، القانون، القضاء، والنظام التعليمي الرسمي والمجتمع المدني و هو غير المصطلح المعروف اليوم الذي يشير حصرا إلى عالم المنظمات الغير الحكومية ".

ويشمل الأحزاب والنقابات والصحافة والجمعيات والكنيسة ومجمل الأنشطة الخاصة الناشئة عن المبادرات الذاتية أو شبه الذاتية والمستقلة نسبيا عن السلطة، ويتمثل فيها شكل أعمق تأثيرا وأكثر ديمومة حيث يتعلق الأمر باخضاع المجتمعات وابقائها في حالة من "الاستقرار" إذ تأخذ حالة الاقتناع بالسلطة إلى مصلحة وضرورة لبقاء المجتمع الذي تتسلط عليه ولنأخذ مثالا تطبيقيا:

يجبر قانون ترخيص الأفراد (وهو أداة إكراهية تنبثق عن المجتمع السياسي" أي مجموعة اجتماعية تريد أن تساهم في العمل السياسي أو أن تشاركك في الحكم على الطلب من الدولة السماح لها بممارسة أنشطتها، ووضع نفسها تحت إشرافها ورقابتها والتقيد بتعليماتها، واشتقاق شرعية وجودها منها، ومن خلال منح تمويل الدولة للأحزاب المشروعة ومشار عنها في الانتخابات البرلمانية (لأنها مشروعة، إذ يحظر القانون مشاركته الأحزاب غير المرخصة الدولة، ويصير بقاؤها ونفوذها وا إمكانيات توسعها معتمدا على الدولة فيصير الحزب مدافعا عن بقاء الدولة السلطة بعد أن وقع فعليا وبآليات ضمنية تحت هيمنتها، وكذلك الأمر في كل قطاعات المجتمع المدني فتتحول هذه الأخيرة إلى أدوات لتعميق هيمنة السلطة و إلى تحصينات قوية لها، و يمكننا هكذا أن نفهم ملاحظة غرامشي التالية: "بعض الأحزاب السياسية تؤدي وظيفة شرطية"، وأن نفهم ملاحظاته حول النسق الذي تعمل بواسطته النقابات العمالية داخل إطار الرأسمالية، إذ تنظم العمال لا باعتبارهم منتجين بل باعتبارهم مأجورين، أي بكونهم نتاج التنظيم

الرأسمالي للملكية الخاصة، وباعة لعملهم الخاص واضعة إياهم داخل إطار الهيمنة الرأسمالية لا خارجه، مثلما تضع الأحزاب نفسها داخل إطار هيمنة الدولة، السلطة، لا خارجه".[1]

يتوضح لنا أن هيمنة المجتمع المدني لها صلة كبير وارتباط ضمني وعميق بالسلطة فهكذا وبطريقة غير مباشرة تعمل الهيمنة الناتجة عن نشاط المجتمع المدني على خلق تمسك بالدولة ينبع ظاهريا، وبديهيا من داخل المجتمع لصالح السلطة وهذا مأخوذ من خبرته أثناء عضويته في البرلمان الإيطالي.

والسؤال المهم أيضا هو كيف استطاع غرامشي أن يقرأ المجتمع المدني وهيمنته من خلال واقعة وكيف فعل هذا؟ وما المراد منه؟

"إن المتتبع لمفاهيم غرامشي حول المجتمع المدني والهيمنة، والمجتمع السياسي والدولة يجد أنها نتاج لطفرات وقطائع معرفية مع الأنظمة المعرفة أولا و منه الأنظمة السلطوية الغاشية الحكمة آنذاك، التي كانت تبتلع المجتمع المدني، وتبتلع الفكر المعارض والمختلف لذا عندما أكد غرامشي على مسألة الفرق بين القوة والهيمنة لا لشيء إلا ليكشف الفرق الذي سوف يحصل في الخطاب السياسي الإيطالي الذي يريده غرامشي أن ينتقل من الحكم بالقوة (السلطوية) إلى مرحلة الهيمنة (الرضائية) أي يتحرك المجتمع تحت قيادة إيديولوجية واجتماعية وسياسية تقود المجتمع برضائه وليس عنوة ... إذن أن الشكل السلطوي هو الذي كان يحرك الفكر الغرامشاوي و الذي جعله يؤكد على استقلالية البنى الفوقية عن البنى التحتية لأن هذا يعطي استقلالية للقيادة التي تتحرك من أجل نشر فكرها، وآرائها، من خلال مؤسسات الإعلام، والأحزاب السياسية والنقابات والنوادي وغيرها، باستعمال منطق الهيمنة الذي يتوجه إلى وجدان، ونفوس الأفراد، الناشئين إلى حياة يسودها القانون و التعددية، الحزبية، وحق المواطنة والاختلاف، من أجل أن يبقى ثمة أمل أو بصيص من الأمل الولادة الدكتاتورية حتى وا ٍن كانت كامنة بالقوة".[2]

[1] هشام البستاني، في أهمية غرامشي اليوم، مجلة صوت Ultra الرقمية، أطلع عليه يوم 23 أفريل 2022.

[2] حيدر علي محمد، إشكالية المثقف عنه غرامشي، مرجع سبق ذركه ص 245-246.

إن مفهوم الهيمنة في المجتمع المدني لم يعد مجرد مفهوم يشير إلى مستوى من مستويات النشاط الجماعي المتصف بالتعددية والتناقض وتغلب المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، بل أصبح يشير لمجموعة كبيرة من المنظمات النشطة التي تسمى كل واحدة منها للعب دور بارز في حياة المجتمع ككل بموازاة الدولة وأحيانا في مواجهتها.

الخـاتمـة

كما كان معلوما في الفلسفة أن البحث في الفلسفة لا ينتهي وسؤال المثقف هذا ليس لديه اجابه نهائية ، كان لزاما القول على سبيل الختم، لقد تناولت في هذا البحث مسألة المثقف من خلال انطونيو غرامشي فاشتغلت على هذا الأخير في الباب الاول مستظهر كل ما يخصه ،وتوصلت من خلال الباب الثاني" اشكاليه المثقف" الى مجموعه من الخصال يجب ان تتوفر في الشخص الجدير بوصف المثقف وهي كالآتي:

1:غرامشي يهدف الى انشاء طبقه من المثقفين داخل المجتمع يكون هدفها الاساسي زعزعه الفكر السائد داخل ذلك المجتمع وتجديده

2 :الظاهر ايضا أن غرامشي يرفض الفكر المتعالي كالفيلسوف الذي يفكر في أشياء متعالية بعيده عن خدمه اهداف مجتمعه

3:ينظر هذا الاخير ويميز المثقف الحقيقي الذي يؤسس للبراكسيس اي الذي يضع نظريات فكريه ثم يحاول توظيفها داخل المجتمع أن "البراكسيس عند جرامشي هو نظريه وتطبيق في ذات الوقت.

4:المثقف الحقيقي في نظره هو نتاج مجتمعه فكلما كان مجتمع يعاني مشاكل وتناقضات وصر اعات يكون في حاجه ماسه الى مثقف يتفاعل ويغير الوضع

5: نصح غرامشيي المثقف بالعمل على تأسيس خطاب داخل المجتمع والتفريق بين خطاب الايديولوجيا وخطاب الثقافة الشعبية والخطاب الفلكلوري وعدم هدم هذه الأخيرة دفعه واحده باعتبارها لا عقلانية بل اعتبارها تصورات فلسفيه بسيطة خاصة بعامه الناس

6: يرى غرامشي ان كل الناس هم فلاسفة ومثقفين ولكن قله منهم هي التي تهتم وتعني بالعمل الفكري بينما الغالبية تفضل الركون و العطالة الفكرية وبهذا يريد غرامشي هنا التأكيد على عدم التمييز بين الاشخاص والأفراد فكريا.

7:إن أهم تصور للمثقف يمكن الوقوف عنده في الفكر الغرامشي هو ذالك الذي يأكد على أن المثقف الحقيقي هو الذي لا يتخلى عن قضايا مجتمعه و ينخرط فكرا و سلوكا في تحديات مجتمعه ، و إلا وقع المفكر شهادة وفاته وفي خاتمة رسالتي العلمية المتواضعة؛ لا يسعني إلا أن أحمد الله الذي تتم بنعمته الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، خير البشر أجمعين، وشفيعنا يوم الكرب العظيم؛ من علم البشرية مكارم الأخلاق، لقد كانت رحلة بحث علمي شاقة، وتحملت كثيرا من الصعوبات في سبيل التوصل لنتائج لها دلالة، وفي موضوع لم يتم تناوله بصورة موسعة من قبل، وا ٍن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وا ٍن أصبت فمن الله.

قائمة المصادر و المراجع

المصادر و المراجع:

1. ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف القاهرة 1992، ج1.
2. بروندينو ميشيل + الطاهر لبيب، جرامشي في العالم العربي، تر، كاميليا صبحي دار الجزيرة، القاهرة ط1.
3. بوزوليتي أنطونيو غرامشي ترجمة سمير كرم المؤسسة العربية للدراسات ط1، 1977.
4. بيوتي، جان مارك: فكر غرامشي السياسي ترجمة جورج طرابشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، بدون تاريخ نشر.
5. حبيب الجنحاني، المجتمع المدني وأبعاده الفكرية، دار الفكر دمشق سوريا، ط1، 2003.
6. ديورانت ويل: قصة الفلسفة تر فتح الله محمد المشعشع ط1، بيروت 2004.
7. روجيه غارودي، كارل ماركس، جورج طرابشي منشورات دار الأدب بيروت لبنان ط1، 1970.
8. صادق جلال دراسات في الفلسفة الحديثة دار العودة، بيروت لبنان، دون تاريخ النشر.
9. عبد الله العروي، ثقافتنا في ضوء التاريخ المركز الثقافي العربي، ط6، 2002 دار البيضاء بيروت.
10. علي محمود مصطفى مرتضى: المثقف والسلطة دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر ط1، 1998.
11. عمار بلحسن الأدب و الإديولوجيا: المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ط1، 1984.
12. عمار بلحسن، انتجلجنسيا أم المثقفون في الجزائر، دار الحداثة للطباعة و النشر، بيروت لبنان ط1، 1976.
13. غرامشي أنطونيو، كراسات السجن، تر عادل غفيم، منتديات مجلة الابتسامة ط1
14. فالح عبد الجبار فرضيات حول الاشتراكية، مركز البحث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي ط1.
15. لطفي أفراح، نظرية كروتشيه الجمالية رسالة ماجستير.

16.محمد حياد حسني، مفهوم المجتمع المدني لدى انطونيو غرامشي، المركز الديمقراطي العربي ط1، برلين، ألمانيا 2017.
17. محمد حيدر علي: إشكالية المثقف عند غرامشي رسالة نيل شهادة ماجستير إشراف مدني صالح 1425 هـ.
18.المدني توفيق، التمييز في الفكر الغرامشاوي إزاء الماركسية الكلاسيكية نقلا عن كتاب المجتمع المدني والدولة السياسية في الوطن العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1977.
19.مصطفى يسرى، غرامشي وقضايا المجتمع المدني ترفوان طرابلسي، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت لبنان،ط1.

المصادر و المراجع بالغة الأجنبية:

20. Allusser réponse à jonh lenis, Ed Masperce, paris, 1972, p 98.
21. Engles, ludwing ferbanch et la fin de la philosopjie classique allemande Edicion. Sociales . 1966 p 55-56.
22. Morse, inter éduction a la critique de l’économie politique psf paris 1966 pp 4.5.

المجلات و الجرائد:

23. جريدة العرب الدولية، الشرق الأوسط، كانط... أكبر فيلسوف في العصور الحديثة.
24.دراج فيصل، الماركسية، بين العلم و الصوت مجلة النهج الماركسية، عدد مزدوج 23. 24 السنة الدراسية 1989.
25.سليمان الطراونة، المثقف والسلطة مجلة أفكار، العدد 125، سنة 1996 .
26. عبد الهادي كنت تمثيلات المثقف المقاوم نقلا عن المعجم النقدي لعلم الاجتماع، العدد 511 نيسان أبريل 2018.
27. غرامشي المجتمع المدني، مجلة الأخبار الإلكترونية اطلع عليه 16/04/22.

28. مكايد محمود إبراهيم، المصطلح ومشكلات تحقيقه، مجلة التراث العربي العدد 97 السنة الرابعة والعشرون، مارس 2005.
29. هشام البستاني، في أهمية غرامشي اليوم، مجلة صوت Ultra الرقمية، أطلع عليه يوم 23 أفريل 2022.

المواقع الإلكترونية:

30. عصام عبود كروتشيه بنديتو، الموسوعة العربية الإلكترونية: اطلع عليه 24/03/22.
31. غرامشي والفيلسوف الديمقراطي، مقالة رقمية زهير الخويلدي، اطلع عليه 2022/03/21.
32. موقع الحوار الثقافي، أحمد عطار، الفلسفة العملية الإيطالية غرامشي نموذجا.
33. موقع العربي الجديد، انطونيو غرامشي، كي لا يختفي المفكر خلف مفاهيمه اطلع عليه يوم 7 مارس 2022.
34. موقع سلوم نايف، قراءة في دفاتر السجن اطلع عليه 19/03/22.

فهرس المحتويات

الفهرس :

شكر وعرفان

إهداء

المقدمة 06

الفصل الأول: من هو انطونيو غرامشي

المبحث الأول: انطونيو غرامشي.....08

المطلب الأول: نشأته وحياته.....08

المطلب الثاني: القراءة العربية لغرامشي.....09

المطلب الثالث: اكتشاف العربي المتأخر لغرامشي.....11

المبحث الثاني: فكره 13

المطلب الأول: الإطار العام لفكرة الفلسفي.....13

المطلب الثاني: فلسفة السياسة.....15

المطلب الثالث: دفاتر السجن.....20.

الفصل الثاني: إشكالية المتفق عند غرامشي

المبحث الأول: فيما يتعلق بالثقافة.....26

المطلب الأول: مفهوم الثقافة.....26

المطلب الثاني: التعريف الغرامشي للثقافة.....30

المطلب الثالث: الأطر التاريخية لطبقة المثقفية 33

المبحث الثاني: التصنيف الغرامشي لنوع المثقف.....37

المطلب الأول: المثقف التقليدي.....37

المطلب الثاني: المثقف العضوي.....41

المطلب الثالث: مثقفوا الشمال والجنوب.....46

المبحث الثالث: الهيمنة الثقافية والمجتمع المدني لدى غرامشي.....52

المطلب الأول: الإطار النظري للمفهوم المجتمع المدني.....52
المطلب الثاني: الإطار النظري لمفهوم الهيمنة الثقافية.....56
المطلب الثالث: جدل الهيمنة والمجتمع المدني لدى غرامشي.....61
خاتمة.....66
المصادر و المراجع